



# حسان بن ثابت الأنصاري

## حياته وشعره

إعداد  
يوسف عيسى  
أزفي اللغة العربية وآدابها





الاعلام من الادباء والشعراء

حَسَّانُ بْنُ قَابُكٍ الْإِنصَارِيُّ  
حَيَاتُهُ وَشَعْبُهُ

اعداد

يوسف عيسى

بجاز في اللغة العربية وآدابها

دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة  
لدار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى  
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

---

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان  
مريم: ١١/٩٤٢٤ تليفون : 41245 Le Nasher  
هاتف : ٨١٥٥٧٣ - ٣٦٦١٣٥

## - المقدمة -

- بسم الله الرحمن الرحيم -

- الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فإن حسان بن ثابت واحد من الشعراء المخضرمين الذين عاصروا الجاهلية والإسلام وكان له في كليهما حياة صاخبة وأثر خالد، فقد قدر للرجل أن يقف على الحياة الجاهلية وعاداتها وتقاليدها فيصورها بشعر لا يختلف عن شعر معاصريه إلا بما بثه فيه من فخر بقومه واستعلاء بهم على كل رفيع، كما قدر له أن يدرك الإسلام ويهتدي بأنوار الدعوة المحمدية، فيفارق سبل الضلال، ويلتجئ إلى حمى منيع نال من خلاله حفظاً وافراً من الخير والذكر، فقد آمن الرجل بالرسالة المباركة، وسخر قلمه ولسانه في سبيل الذود عنها حتى صار شاعر الرسول الكريم ﷺ والمنافع عنه والذباب عن المسلمين ضد كثير من الطغمة والكفار والمتربصين. وإذا كان حسان في شعره قد استن السنن التقليدي، ومشى لاحقاً مهده الشعراء السابقون له، فمدح

وافتنخر، وهجا ورثى وتغزل، ووصف وتأمل، فإنه لم يأل جهداً إلا وبذله في سبيل تهذيب شعره وتنقيته والتفنن فيه، فكان الشاعر الأول الذي ابتدع فنّ النقائض وأكثر منه في الشعر، كما كان الشاعر الذي حمل لواء الشعر الديني، فوطّده وأعلى رايته بما ضمّنه من معين الإسلام الشر وصوره الفذة وحكمه الخالصة.

وإذا كان لنا من كلمة أخيرة نقولها في حسان وشعره، فإنها لن تكون إلا الكلمة التي تفي الرجل حقّه ولا تبخس قدره وفضله، فقد كان الرجل يتمتع بشاعرية رائعة ومقدرة على النظم رجة، كما شدّ من أزرها خيال محلّق استقى من حضارة عصره ما لَوّن صورته، كما استقى من أنوار الدعوة المباركة ما أعانه على التحليق في ذرى الوحي ورحاب الإيمان.

يوسف عيسى

## - العصر الجاهلي .

- كان العرب قبل الإسلام أمةً بدوية يحيون حياة طبيعية تلائم بيئتهم الخاصة، فالصحراء الواسعة تحيط بهم، وتكتنفهم كثبان الرمال الواسعة، وتظلمهم السماء الصافية ويجنّهم الليل الساجي، ويؤنسهم القمر المضيء، وتحرقهم الشمس اللاهبة، وتتجاوب حولهم أصوات الحيوانات والوحوش، وتجري الرياح عاتية مزمجرة، حتى إذا أفلت سحاباً تبعوا مساقطه، ورعوا ما تنبت الأرض من آثاره، فالجذب شامل والحياة بخيلة، الإبل عماد حياتهم والخيول معقل فرسانهم، وفي الأنعام رزقهم، منها يأكلون ويلبسون ويتخذون المتاع، يحيون حياة قاسية كما تحيا سائر الكائنات في الصحراء في حرّية لا يقيدّها قيد ولا يحدّ من جموحها مانع، الفطرة قانونهم وتنازع البقاء سبيلهم، والقبيلة هي الدرع الحصينة التي تحمي جماعاتهم، بها يلوذون، وعنها يدافعون، ومن هذه البيئة نشأت عاداتهم ونبت أخلاقهم وتوطدت عرى أعرافهم وتقاليدهم ولن نتحدث عن البيئة الجاهلية حديثاً جغرافياً بحيث نرسم جغرافياً حدودها وأقسامها ونستعرض أهلها وسكانها وأحوالها الاجتماعية

ولكنّا سنقتصر الحديث على معارف أولئك القوم وخاصة الشعر وفنونه، لأن الشعر كان مرآة تلك الأمة والمصوّر الحقيقي للبيئة الجاهلية وما كان يدور فيها من أحداث، فضلاً عن كونه العلم الذي لم يكن لهم علم أصح منه، فلو نظرت إلى ذلك الشعر بعين متفحّصة لوجدت على صفحاته وخلال قصائده ومقطوعاته صوراً صادقة لتلك الحياة العربية تكاد تترسّم فيها عاداتهم وتقاليدهم ومواقع ديارهم وآثار طولهم وموارد مياههم وملاعب ولدانهم ومجالس ساداتهم وذكر مواقعهم وصور معاركهم ووضوح أخلاقهم ومشارب أنفسهم، فالشعر الجاهلي يكاد يكون صورة لكلّ تلك الحياة التي عاشها أولئك القوم في باديتهم، يتمثل فيها الطلل والوحش والحصان والناقة والليل والرمل والغيث والسحاب والسماء والنجوم والمناقب والشمائل والتقاليد والأعراف، إنه يرسم حياتهم بكل تفاصيلها وأبعادها وما كان يدور فيها من أحداث ووقائع.

### فنون الشعر الجاهلي:

إن المتأمل في الشعر الجاهلي سوف يدرك تماماً أن طبيعة الحياة العربية تتمثّل بكلّ قيمها وأعرافها في فنون ذلك الشعر وصوره الحيّة، وقد كانت فنون ذلك الشعر دائرة بين النسب والفخر والمدح والهجاء والرثاء والوصف، كما كان



يتخللها كثير من شعر الحكمة والاعتذار، وقد درجت تلك  
 الفنون على سنة معينة من النظم لم يخرج عن إطارها إلا  
 القليل النادر من القصائد فقد كانت القصيدة الشعرية تتوزع  
 إلى موضوعات متعددة وتتناول في أبياتها أغراضاً شعرية  
 متنوعة، وهي في مجملها تنقل الواقع المحسوس ثقلًا أمينًا  
 يكاد لا يتجاوز ما تراه العين ولا يبتعد عن دائرة المشاهد  
 الذي يرسمه الشعراء في صور لا تخلو من الفطرية والسذاجة  
 البدوية، فالمعاني بسيطة غير مغرقة في الخيال والجمال  
 خالية من الغلو المفرط إلا ما ندر، وهي في أكثر أحوالها  
 تصوّر عواطف نفوسهم وما يختلج فيها من صدق وإخلاص  
 وبساطة وعفوية، فهم لا يتكلفون في قولهم كما لا يتكلفون  
 في لباسهم وطعامهم وشرابهم وسائر أمورهم وكان رائدهم  
 بيت زهير بن أبي سلمى الذي يقول:

وإنَّ أشعر بيتٍ أنتَ قائله

بيتُ يقال إذا أنشدته صدقاً

ويمتد أثر بيتهم إلى منهج القصيدة وكيفية تأليفها، فقد كان  
 البدو أكثر الناس حباً وأشدّهم هياماً ووجداء، وقد جاءهم  
 ذلك من طريقة حياتهم وطبيعة وجودهم التي لم تكن لتخضع  
 لقيود، فانطلقوا في ذلك انطلاقاً عفويًا وجروا مع عواطفهم  
 دون أن يحدّ منها أي مانع، فهم أهل نجعة كانوا يلتقون فيها  
 فتحدث المودات ويحلو الأنس والسمر، وتتوطد العلاقات

وتألف الأنفس، وكذلك هم أهل رحيل وانتقال، فإذا ما  
افترقوا تجدد في النفوس الشوق والحنين والأشجان، وذكر  
كلِّ إلفٍ إلفه، وغنى كل شاعرٍ حبيبه وبثه لواعج نفسه  
وأشجان هواه، ولذلك كان النسيب والتشبيب والتغزل  
عندهم من أهم فنون القول، يفتتحون به قصائدهم وينتقلون  
بعد ذكره إلى أغراض أخرى، لمكانه من قلوبهم، ولما فيه  
من راحة للنفس وامتناع للمشاعر وإثارة للخواطر والمواجد،  
وقد كانت المرأة تجسّد الجمال الأوحّد في الطبيعة البدوية  
ولذا كان العربي في شعره وحديثه يركّز عليها، ويذكرها في  
كلّ المناسبات عند الافتخار والحديث عن الشجاعة  
والكرم، وعند الصبابة والعشق ومقارعة الأبطال، وفي  
مواطن حلّه وترحاله، إنها صاحبة المقام الأول في الشعر،  
والغرض الذي يفتح به الطريق إلى سائر الأغراض والفنون  
الأخرى.

### أثر الإسلام في الشعر وموقفه منه :

إن الحديث عن أثر الإسلام في الشعر ضروريّ لأننا  
سوف نتحدث فيما بعد عن شاعر الإسلام الأوّل حسان بن  
ثابت الذي ذبّ عن الإسلام بشعره ودافع عنه طوال حياته  
التي عاشها في الإسلام، ولذلك كان ضرورياً أن نتحدث  
عن ذلك الأثر الذي كان فاصلاً في حياة أولئك الأسلاف،  
فقد كان أكثر شعراء الجاهلية من الأشراف والسادة وأهل

الفروسية والحرب وأكثر شعرهم في الجomاسة والفخر بالأيام  
والعصبية والمآثر، والتطاول بأنسابهم والتعصب لقبائلهم،  
والتباهي بالحروب والانتصارات على الأعداء هذا فضلاً عن  
ذكر الخمر وتزيين الإقبال عليها، وذكر الغزل الماجن  
والهجاء المقذع الذي يتناول الأعراض والأحساب، فلما  
جاء الإسلام بتعاليمه الجديدة التي تتعارض كلياً مع بعض  
اتجاهات ذلك الشعر ومناحيه، وكان هدفه تطهير النفوس من  
آثار العصبية الجاهلية ومحاربة تلك المنازع البدوية،  
وتخليص القوم من الوثنية الجاهلية، وإرساء قواعد الدين  
الحنيف وتعاليمه السمحاء التي تجمع العرب على كلمة  
سواء فيها كل الخير لهم، وتطهر نفوسهم من الأدران  
والأمراض والتقاليد التي لا تتناسب مع واقع الحياة  
الجديدة، لم تبق تلك الحاجة الملحة إلى الشعر والشعراء،  
وهان أمره وأمرهم، واشتغل أكثر العرب بالجهاد  
والفتوحات، وانصرفت القرائح الشاعرة إلى الخطابة لحاجة  
المسلمين إليها لأنها أقوى دليلاً وأدفع حجة وأشدّ بياناً  
وإيضاحاً وإماماً وتفصيلاً، وأمضى سبيلاً في إثارة الهمم  
وتوجيه الناس وحثهم على الغزو والجهاد في سبيل الله،  
فأصبحت الخطابة سبيل الرسول إلى نشر تعاليم الدين  
الجديد كما كانت سبيل الخلفاء والرسل والقادة من بعده،  
يخاطبون بها العقول، ويقرعون بها الأسماع.

## القرآن والشعر:

لقد نزل القرآن على الرسول ﷺ بلسانٍ عربيٍّ مبين وهو في أمةٍ عربية خالصة، كان الكلام أرقى صناعتهم وأعظم علومهم وأجل بضاعتهم، وكان العرب أهل بلاغة وأمراء بيان ورجال كلمة، وكان الشعر ميزان القول عندهم، كما كان ديوانهم الذي يجمع مكارمهم ومفاخرهم وأيامهم، وكان له في نفوسهم المقام الأول والأثر الأعظم فلما سمعوا القرآن الكريم وأنصتوا إلى آياته البينات وأدركوا بما عندهم من فطرة وموهبة أسرار بلاغته وبيانه، بهرتهم آياته وأذهلتهم سوره وكلماته، فأسلم له من استضاءت بصائرهم وأذعن لحكمه وآياته من أوتي نصيباً من العقل وحفظاً من الفهم والمعرفة، ونزع الله الغشاوة عن قلبه، وصد عنه من ارتضى المكابرة والضلال والجهل والحماقة، وقد شغل القرآن الكريم العرب وصرفهم عن الولوع بالشعر والتنافس فيه، وحول أفكار المؤمنين عن فنونه وأغراضه المنحرفة عن قيم الإسلام وأعرافه وشرائعه، ويغض إليهم تلك الفنون الجامحة ما جاء في القرآن الكريم من آيات تذكر الشعر والشعراء، وتنفي أن يكون التنزيل الكريم شعراً أو أن يكون الرسول ﷺ شاعراً، وليس في ذلك طعنٌ على الشعر، بل هو إقرار لواقع لا شك فيه، فالقرآن صورة بيانية فريدة تبعد كل البعد أن تكون شعراً أو سجعاً كسجع الكهان، وهما لونا

معروفان عند العرب في الجاهلية، وكان المشركون من العرب يريدون التهوين من شأن معجزة الرسول فراحوا يصفون القرآن بالشعر، ولهذا جاءت الآيات في نفي أن يكون القرآن شعراً منسوبة إلى مشركي العرب كقوله تعالى «بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون» وقوله: «ويقولون أئنا لتاركوا آلہتنا لشاعر مجنون» والآيات في هذا المعنى كلها للدلالة على نزولها في وقت المعارضة الشديدة من جانب قريش لما جاء به القرآن من دعوات إلى الإيمان والتوحيد والإسلام، أما قوله تعالى في سورة الشعراء: «والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» فهو من الآيات المدنية، على الرغم من أن بقية آيات السورة نزلت في مكة، والقصد منها خاص وعام، أما الخاص فهو وهم شعراء الكفار الذين أخذوا يناصبون الإسلام والرسول العدا، وأما المقصد العام فهم الشعراء الذين لا يلتزمون بالقواعد الأخلاقية للإسلام، فيذكرون في الهجاء الأعراض والطعن في الأنساب، ويضمنون الغزل الكلام الفاحش البذيء، ويذكرون الناس بما ليس فيهم ويفتخرون ادعاءً وكذباً أما الغواة الذين تشير إليهم الآيات فهم الأعراب الذين

كانوا يجتمعون إلى شعراء قريش المشركين ليستمعوا إلى أشعارهم في هجاء الرسول ودعوته، وأمّا الشعراء الذين استشتهم الآيات فهم شعراء المسلمين خاصة الذين دافعوا عن الرسول والدعوة، والشعراء الذين يكتبون في الحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة، وقد روي عن الرسول ﷺ قوله: «إنما الشعر كلامٌ مؤلف، فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق منه فلا خير فيه».

وهكذا يبدو أن الإسلام لم يهوّن من أمر الشعر لأنه في ذاته فنٌّ من القول ممقوت، ولم يذمّ القرآن الشعراء لأنهم أهل صناعة باثرة وحرقة منكرة، وإنّما كان ذلك لسببين اثنين: أحدهما راجع في الشعر لمعناه، والآخر لمبناه، أمّا الأول فلأن أغلب الشعر كما تقدّم كان أداة، تخدم الأغراض الجاهلية وتثير كوامن العصبية وتغذي طبائع التناحر البدوية وتوقظ الفتن الراقدة، بما فيه من تفاخر وتطاول وملاحاة وهجاء وتزيين للباطل وتحسين للمحرّمات والإسلام كما نعلم يعمل على نزع تلك العادات من النفوس ويجهد لتغيير تلك الأخلاق واستئلال سخائم النفوس والانتقال بالعرب إلى وحدة ترأب الصدع وتلمّ الشتات وترسي قواعد المجتمع على أسس جديدة من العدل والإيمان والسلام، فالذمُّ قد تناول الشعر من ناحية أغراضه وموضوعاته لا من حيث هو شعر خالص، وأمّا الآخر فلأن العرب كانت أمة خيالية

حماسية شاعرة تستهوي نفوسهم الكلمة المنظومة التي تسير في الآفاق والنفوس بسرعة وإقبال، فللشعر سلطان كبير على عقولهم وأثر عميق في نفوسهم وقد كان من جهة جرسه ونغمه ونظمه وحسن تأليفه المثل الأعلى للبلاغة العربية، فلما نزل القرآن سمعوا به قولاً عجيباً اهتزت له مشاعرهم ووقفت عند آياته أسماعهم مصغية لما فيه من سحر وبلاغة وروعة حتى قال قائلهم: «والله إن لقوله حلاوة وإن أصله لَعَذَقُ<sup>(١)</sup> وإن فرعه لجناة<sup>(٢)</sup>» وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِفَ أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر<sup>(٣)</sup>.

فدَّمَ الله الشعراء ونفى الشعر عن النبي، تكذيباً لما زعمه المشركون من أنه شاعر، وليؤكد أن القرآن ليس من ذلك الطراز الشعري الساحر الذي يؤثر في النفوس بوزنه ونغمه وقوافيه، وبما فيه من تخيل وتزيين، وليدفع عن النبي مظنةً اصطناعه لأنه ليس بشاعر، فأبعد بذلك القرآن عن نطاق الشعر وأسباب تأثيره، كما أبعد الشعر عن نطاق القرآن وأسباب إعجازه.

(١) الْعَذَقُ: بالفتح: النخلة عند أهل الحجاز. (اللسان: مادة عذق).

(٢) الجناة: ما يجنى.

(٣) راجع تهذيب سيرة ابن هشام ص ٦٠ تحقيق عبد السلام هارون.

## الرسول والشعر:

إن موقف الرسول ﷺ من الشعر كان موقفاً ينبع من صميم الدعوة الإسلامية المباركة التي توجب أن تتضافر كل الإمكانيات المتاحة في سبيل إنجاحها وتجذيرها في المجتمع والنفوس، وكان الرسول يرى أن يردّ شعراء المسلمين على اعتداءات الكفار ويذبّون بالسّتهم عنه بما لا يتنافى مع تعاليم الإسلام بحيث يحرص الشعراء على توجيه أشعارهم إلى الكافرين دون خروج على القيم والمثل والأخلاق الإسلامية، منطلقين من الآية القرآنية المباركة: «لا يحبّ الله الجهر بالسّوء من القول إلّا من ظلم» وقد كان الرسول ﷺ يستمع إلى الشعر ويتنوّقه ويستنشد قائله ويشيهم عليه، وإنّ من البيان لسحرا»<sup>(١)</sup> وكان الرسول ﷺ يطلب من حسان بن ثابت أن يردّ على شعراء المشركين ويقول له: «اهجهم وروح القدس معك»<sup>(٢)</sup> وكان يضع له منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

ونرى الشعراء في عصر الرسول يتوجّهون بمدحهم

- 
- (١) جمهرة أشعار العرب ص ١٢ - دار المسيرة.  
(٢) جمهرة أشعار العرب ص ١٣ .  
(٣) أبجد العلوم ص ٢٠٣ طبعة بهوبال الهند ١٢٥٩ هـ .



إليه، ونلاحظ في مدائحهم تطوراً واضحاً من ناحية رقة اللفظ والاهتمام الرئيسي بالفكرة دون بهرجة الكلام وتزييفه، مع التأثر بالمضمون الإسلامي الجديد، كما كان الرسول ﷺ يسأل الشعراء ويستفسر منهم عن ذلك المضمون، فقد أنشد النابغة الجعدي رسول الله ﷺ قوله:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا

وإننا لنرجو فوق ذلك مظهراً

فأعجب الرسول به وقال له: فأين المظهر يا أبا ليلى؟ فقال: الجنة بك يا رسول الله؟ قال: نعم إن شاء الله، فقضى له بالجنة بسبب شعره، فلما قال:

ولا خير في حلمٍ إذا لم يكن له

بوادٍ تحمي صفوه أن يكدرها

ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له

حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له النبي ﷺ: أجدت، لا يفضض الله فاك، قالوا:

فلقد رثي وقد أتت عليه مائة سنة أو تزيد وما انفض من فيه سن.

وينشد حسان بن ثابت الرسول قوله وهو يجيب عنه أبا

سفيان بن الحارث:

هجوْتُ محمداً فأجبت عنه

وعند الله في ذاك الجزاء

فقال له الرسول: جزاؤك عند الله الجنة يا حسان،  
فلما قال:

فإن أبي ووالده وعرضي  
لعرض محمدٍ منكم وقاءً  
قال له: وراك الله حرَّ النار، ففضى له بالجنة مرتين في  
ساعة واحدة وسبب ذلك شعره.

وحادثة كعب بن زهير معروفة تذكرها كل كتب التاريخ  
والسيرة، فقد هجا كعبُ الرسول، فأهدر الرسول دمه، فما  
كان من كعبٍ إلا أن جاء أصحاب النبي متوسّطاً ومستشفعاً  
حتى أقبل على الرسول عائداً به منشداً قصيدته المشهورة:  
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول -  
متيمٌ إثرها لم يفد مكبول

إلى أن يقول:

إن الرسول لنورٌ يستضاء به  
مهتدٌ من سيوف الله مسلول  
فيجزيه الرسول على قصيدته بالعفو عنه، ويخلع عليه  
بردته ثوباً له.

وهكذا فإن الرسول كان يرى في الشعر حكمة وتجربة  
وجملاً وكان يستعذب منه الشعر الذي يتوافق مع المضمون  
الإسلامي الجديد، ويراه سلاحاً هاماً في محاربة المشركين

أو نوعاً من أنواع الجهاد في سبيل الله، فاستخدمه أداةً من أدوات الإسلام السياسية في حربه مع الكفار، وكان له وقعٌ على الكافرين أمضٍ وأقسى من وقع السيف، وهذا الموقف من الرسول قد ساعد الشعر على البقاء والاستمرار، وجعل العرب رغم مشاغلهم الكثيرة لا ينسون روايته ولا يقتلون مكانته.

### الرسول وقول الشعر

كان رسول الله ﷺ وهو أفصح العرب لا ينشد بيتاً شعرياً إنشاداً سليماً، بحيث يحافظ فيه على تمام الوزن وإنما كان ينشد الصدر أو العجز من البيت، أو ينشد البيت مخالفاً لصورته التي نظم فيها، فقد ذكر أنه كان يقول: أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد: ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل.

ثم يسكت عن عجز البيت، وقالت عائشة: كان النبي يتمثل من الشعر بيت أخى بني قيس طرفة العبدى فيقول: ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك من لم تزود بالأخبار

فقال أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله، فقال: «إني لست بشاعر، ولا ينبغي لي» تصديقاً لمضمون الآية الكريمة «وما علمناه الشعر وما ينبغي له».

ولم يجزِ على لسانه ﷺ ممّا صحّ وزنه إلّا البيت من  
الرجز المنهوك والمشطور، كما جاء عن البخاري ومسلم أنه  
قال:

أنا النبي لا كذب

أنا ابن عبد المطلب

وذلك لأن الرجز في أصله ليس بشعر، إنّما هو وزن  
كأوزان السجع ومنزله بين الشعر والتثنية، ولأن الشطرين منه  
كالشطر من الشعر، حتى إن الخليل لم يعد المشطور منه  
شعراً، وقد وقع هذا القول للنبي اتفاقاً كما يتفق المسجع  
في التثنية، من غير قصد إلى الوزن ولا تكلف للقفية، أمّا  
أصحاب الرسول ﷺ فإنّهم في مجملهم قد ذكروا الشعر  
 وتمثلوا به ونظموا بعضاً من الأبيات أو القصائد، فقد كان أبو  
 بكرٍ يقول الشعر وكذلك عمر بن الخطاب وعلي بن أبي  
 طالب، وغيرهم من الصحابة وتذكر كتب التاريخ والأدب  
 لهم أقوالاً كثيرة تنم عن ذوقهم وحسن إجادتهم له.

## حسان بن ثابت

### سيرته وحياته

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي، والخزرج هو ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد من بني كهلان، وأمه القريرة بنت خالد بن خنيس الخزرجية، من بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، فهو نجاري، خزرجي النسب أمّا وأباً، وكنيته أبو الوليد، وأبو عبد الرحمن وأبو الحسام وأبو المضرب، وقد ولد حسان بالمدينة عام ٥٦٣ م، وقد نقل ابن هشام عن حسان قوله: والله إني لغلّام يفعة، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كلّ ما سمعت، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطفة يثرب: «يا معشر يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك. مالك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به» فلما سئل سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن عمر حسان مقدم رسول الله ﷺ المدينة قال: ستون سنة، وقدمها الرسول وهو ابن ثلاث

وخمسين فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين، فهو إذاً قد ولد قبل الرسول بما يقرب من سبع سنين ومولد الرسول كان عام ٥٧١م.

أما قوم حسان فهم من سادة اليمن وأهل الرياسة فيها وقد نزحوا إلى شمال الجزيرة العربية بعد خراب سد مأرب وتفرقوا هناك فكان بالمدينة منهم الأوس والخزرج، وكان بالشام منهم الغساسنة وفي الحيرة بنو لخم، وفي بعض أشعاره يذكر انتسابه إلى اللخمين وإلى الغساسنة ويخلط نسبه بنسبهما، وكان لقبيلته الخزرج السيادة في المدينة، كما أنها كانت على خلافٍ مع قبيلة الأوس، ولكن الإسلام أعاد إلى القبيلتين الوحدة وألّف بين القلوب برحمة من الله، وكان الخزرج دائماً ممثليْن اعتزازاً وسؤدداً وشعوراً بالسيادة والاستعلاء، فهم أهل الشرف والمجد والعدد والرفعة، وأهل السيف والقوة والمكانة، وقد سرى هذا الشعور إلى نفس حسان، فتملكتها نزعة السيادة والترفع، وتجلّت واضحة في أكثر أشعاره فهو الذي يقول:

ويشربُ تعلم أنا بها

إذا التبس الأمر ميزانها<sup>(١)</sup>

---

(١) التبس الأمر: أي اشتد.

ويشرب تعلم أنا بها  
إذا قحط القطر نوانها<sup>(١)</sup>

ويشرب تعلم أنا بها  
إذا خافت الأوس جيرانها

وكان بنو النجار يمثلون ذؤابة الخزرج فهم أهل الكثرة  
والمحلّ الأرفع، ولهم في آل هاشم بن عبد مناف رحم،  
وبرسول الله قرابة، وفيهم نجدة وبأس وسيادة وكرم، وكان  
لهم في أيام الأوس والخزرج بلاء حسن وفيهم يقول حسان  
للأوس:

يطيفُ بكم من النّجار قومٌ  
كأسد الغاب مسكنها العرين

وكان لبيت حسان في قومه مكانة وسيادة وشرف، وقد  
كان جدّه المنذر خطيب القوم يوم سُميحة<sup>(٢)</sup> وكان الحكم  
الفصل الذي التفت عليه الخصوم، وقضى فقبل الأوس  
والخزرج قضاءه، بعد أن ردّوا قضاء غيره، واحتمل في قومه  
نصف الدّية معونة لإخوته من الأوس، أمّا أبوه ثابت فهو من  
سادة قومه وأشرفهم، أسرته مزينة مرّةً فعرض عليهم  
الفداء، فقالوا: لا نفاذك إلاّ بتيس، ومزينة تسبّ بالتيوس،

---

(١) نوانها: جمع نوء وهو المطر.

(٢) سُميحة: بئر قرب المدينة.

فأبى وأبوا، فلما طال مكثه في القيد أرسل إلى قومه أن  
أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم، وهكذا كان.

شاعرية أسرته:

يقول أبو عباس المبرد: وأعرق قوم كانوا في الشعر آل  
حسان، فإنهم يعتدون ستة في نسق، كلهم شاعر، وهم:  
سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن  
حرام، وكان خاله مسلمة بن مخلد بن الصامت الساعدي  
من خطباء الأنصار المعدودين، ويقول حسان في جده  
وعمه:

وجدي خطيب الناس يوم سُميحه  
وعمي ابن هندٍ مطعمُ الطير خالدُ

ويذكر أفضال والده على قومه فيقول:  
نشدتُ بني النّجار أفعال والدي  
إذا لم يجدْ عانٍ له من يوازعه<sup>(١)</sup>  
وقد تأثر بهذه الشاعرية نساء آل حسان، فهذه أخته  
خولة تقرض الشعر، وكذلك كانت ابنته ليلى شاعرة، فقد  
ذكر الأصمعي أن حسان جلس يوماً ومعه ابنته ليلى فجعل  
يريد الشعر فقال:

---

(١) العاني: الدّم السائل، ويوازعه؛ يكفه ويمنعه.



متاريكُ أذنبُ الأمور إذا اعترت  
تركنا الفروع واجتثنا أصولها  
ثم جعل يريد الزيادة فلا يقدر، فقالت له ابته: يا  
أبتاه، كأنك قد أجبلت<sup>(١)</sup> أفأجيز عنك؟ قال: نعم فقالت:  
مقاويلُ بالمعروف خرسٌ عن الخنا  
كرام يعاطون العشيرة سولها  
فحمي حسان فقال:

وقافيةٌ مثل السَّنانِ رزينةٍ  
تناولتُ من جَوِّ السَّماءِ نزولها  
فقالت:

يراها الذي لا ينطق الشعر عنده  
ويعجز عن أمثاله أن يقولها  
فقال: لا والله، لا قلت بيت شعر ما دمت حيّة،  
قالت: أو أؤمنك؟ قال: فذاك. قالت: فأنت آمن أن أقول  
بيت شعر ما حييت.

وهكذا يبدو أن حسان قد نشأ في بيت سيادة وأدب  
فقد جمع المجد من طرفيه، وعاش في صباه حياة مترفة،  
وذاق طعم النعيم وأقبل على اللهو والشراب والفراغ،

---

(١) أجبلت: لي أخفت.

واستمع بما أحبّ أن يستمتع به من غواية وصيد ولعب  
 وشراب، كما حمل لواء الشعر في قومه فردّ عنهم وذكر-  
 أيامهم وأمجادهم، وتذكر الروايات اعتداد حسان بشعره  
 وبأنه عندما وجد القدرة في نفسه على عرض بضاعته  
 الشعرية قصد سوق عكاظ حيث كان يجتمع الشعراء، وكان  
 النابغة تضرب له هناك قبة من آدم فتأتيه الشعراء فتعرض  
 عليه أشعارها، فدخل عليه وقد أنشده الأعشى شعره، ثم  
 أنشده حسان وأنشدته الشعراء، ثم أنشدته الخنساء بنت  
 عمرو بن الحارث بن الشريد السلمية قولها:

قذني بعينيك أم بالعين عوّار

أم ذرّفت قد دخلت من أهلها الدار<sup>(١)</sup>

حتى انتهت إلى قولها:

وإن صخرأ لتأتم الهداة به

كأنه علم في رأسه نار

فقال النابغة: والله لولا أن أبا بصير «أي الأعشى»

أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس، فقام حسان فقال:

والله لأنا أشعر منك ومن أبيك، فقال له النابغة: حيث تقول

ماذا؟ قال: حيث أقول:

---

(١) القذى: ما يقع في العين من أنثى، والعوّار: وجع في العين مثل الرمّد،  
 وذرّفت: سال دمعها.

لنا الجففات الغرُّ يلمعن بالضُّحا  
وأسيافنا يقطرون من نجدٍ دما

فقال يا ابن أخي، إنك لا تحسن أن تقول:  
فإنك كالليل الذي هو مدركي  
وإن خلْتُ أن المتأى عنك واسع  
خطاطيفُ حجنٍ في جبالٍ متينةٍ  
تُمدُّ بها أيدي إليك نوازع<sup>(١)</sup>

فخنس حسان لقوله.  
وفي حادثة أخرى يذكر حسان أنه قدم النابغة  
المدينة، فدخل السوق فترل عن راحلته ثم جثا على ركبتيه،  
ثم اعتمد على عصاه ثم أنشأ يقول:  
عرفت منازلًا بعُريتناتٍ  
فأعلى الجزع للحَيِّ المبين<sup>(٢)</sup>

فقلت: هلك الشيخ، ورأيت قد تبع قافية منكورة، فما  
زال ينشد حتى أتى على آخرها، ثم قال: ألا رجلٌ ينشد،  
فتقدّم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده:

---

(١) خطاطيف: الواحد خطاف، حديدة حجناء، والحجناء: المتشوية  
والمعوجة ونوازع: جواذب.

(٢) عريتنات: اسم وادٍ، والمبين: المقيم.

أُتعرِف رسماً كاطَّراد المذاهب

لعمره وحشاً غير موقف راكب<sup>(١)</sup>

حتى فرغ منها فقال النابغة: أنت أشعر الناس يا ابن أخي، قال حسان: فدخلني منه<sup>(٢)</sup> وإني في ذلك لأجدُ في نفسي القوَّةَ عليهما، ثم تقدَّمت فجلست بين يديه، فقال: أنشد، فوالله إنك لشاعرٌ قبل أن تتكلَّم، قال: وكان يعرفني قبل ذلك، فأنشدته، فقال: أنت أشعر الناس. هاتان الحادثتان، وغيرها من الحوادث الكثيرة التي تجمع على شاعرية حسان وفضله تؤكد جميعها على أن باع حسان كان طويلاً في القريض، وقد أسهم بقسطه الوافر في الدفاع عن الإسلام، كما أسهم قومه أولو السيادة والشرف في تعزيز منعته وتوطيد دعائمه.

### حسان والإسلام

لم يكن حسان إلّا شاعراً كغيره من شعراء الجاهلية الذين جابوا الجزيرة العربية وأطرافها متصلين بأولي النفوذ والجاه قاصدين الأمراء والقادة رفداً وتقرباً، والمطلع على سيرة حسان يدرك أنه قد اتصل بالغساسنة والمناذرة مادحاً

---

(١) أطراد: «افتعال» من قولك «أطرد» أي تابع، والمذاهب: جلود كانت تلمب تجعل فيها خطوط مذهبة بعضها إثر بعض فكانت متتابعة.

لهم مفتخرآ بهم ويأمجادهم التي يرى أنها ترتبط بأمجاد  
قومه، ولعل آياته بالأمرء الغساسنة هي من أجمل ما ذكر له  
من شعر يقول حسان: (١)

لله درُ عصابةٌ نادمَتْهُمْ

يوماً بجلَّقَ في الزَّمان الأول (٢)

يمشون في الحلل المضاعف نسجها

مشي الجمال إلى الجمال البزل (٣)

الضاربون الكبش يبرِّق بيضه

ضرباً يطيحُ له بنان المفصل (٤)

والخالطون فقيرهم بغنيهم

والمنعمون على الضعيف المرمل (٥)

أولاد جفنة حول قبر أبيهم

قبر ابن مارية الكريم المفضل (٦)

---

(١) ديوانه ص ١٧٩ - ١٨٠ = دار صادر.

(٢) المصابة: الجماعة، وندمهم: أي اتصل بهم وسامرهم، وجلَّق: دمشق،  
أو موضع فيها.

(٣) الحلل: الثياب، ولعله يقصد بها الدروع لأن المعنى يشير إلى ذلك،  
والبزل: جمع بازل وهو البعير الذي استكمل الثامنة وطعن في التاسعة  
من العمر.

(٤) الكبش: سيّد القوم، البيضاء: الخوفة يُتقى بها الرأس، يطيح: يقطع  
ويذهب.

(٥) المرمل: الذي نقد ماله.

(٦) مارية: ذات القرطين وهي أم بني جفنة بن عمرو.

يغشون حتى ما تَهْرُ كلابهم  
 لا يسألون عن السّواد المقبل<sup>(١)</sup>  
 يسقون من ورد البريص عليهم  
 بردى يصفّق بالرحيق السلسل<sup>(٢)</sup>  
 بيض الوجوه كريمةً أحسابهم  
 شمّ الأنوف من الطّراز الأول<sup>(٣)</sup>

ففي هذه الأبيات نلمح حنين حسان إلى الغساسة  
 ومودّته لهم فهم أهل السيف والجود، وأهل الأحساب  
 والأنساب والأمجاد التليدة في قربهم الأمان، وفي البعد  
 عنهم الشعور باليأس وفقدان الأمل، كما أنّ مدحه للمناذرة  
 لا يقلّ عن مدحه لأندادهم الغساسة فهم كذلك أهل الجود  
 والكرم والشجاعة واليأس والنجدة، يقول حسان في أحد  
 أمرائهم النعمان بن المنذر، وهو يرّد على شاعر الأوس  
 قيس بن الخطيم: مخاطباً ناقته<sup>(٤)</sup>  
 أكلفها أن تدلج الليل كلّهُ

تروح إلى باب ابن سلمى وتغتدي<sup>(٥)</sup>

---

(١) يغشون: أي تزوّم منازلهم لكرمهم، وتهرّ كلابهم: تنبح، والسّواد: الجمع من الناس.

(٢) البريص: نهر بدمشق، ويردى، كذلك، والرحيق: الخمر.

(٣) شمّ الأنوف: أي هم أهل عزّ ورفعة.

(٤) ديوان حسان ص ٧٣.

(٥) تدلج: تسير الليل، وابن سلمى هو النعمان بن المنذر.

وآلفيته بحرّاً كثيراً فضوله

جواداً متى يذكر له الخير يزدد<sup>(١)</sup>

وهكذا كان حسان قبيل اسلامه شاعراً قلياً يحاول أن يرعى مصالح قومه كما كان يفعل النابغة الذبياني تماماً، وذلك عن طريق الاتصال بالقوى المؤثرة في الحياة السياسية في ذلك العصر، وقد حمّله على ذلك الخلاف بين قومه أي بين الخزرج والأوس، ولكن ذلك الخلاف ينتهي بعد أن يوجّد الإسلام بينهما ويؤلف بين القلوب المتباعدة، وهنا يعود حسان إلى ذاته، ويصبح شاعر الدعوة الإسلامية المباركة التي نذر نفسه لها، ووقف شعره عليها.

وإذا عدنا لنبحث إسلام حسان فإننا نعود إلى الوراء قليلاً لتعرض إلى بداية الدعوة في قومه أو في يثرب على وجه العموم، فقد عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل بالمواسم في السنة العاشرة من بعثته، ولقي أناساً من يثرب وحدثهم وأسمعهم القرآن ودعاهم إلى الله، فلم يعدوا عنه، ثم انصرفوا وقد استشعر بعضهم الإسلام، وفي السنة التالية لقي الرسول عند العقبة ستة نفر من الخزرج قوم حسان، فصدقوه وآمنوا به، ولما رجعوا إلى ديارهم ذكروا الرسول إلى أبناء قومهم وبلداهم، ولم يمض وقت حتى انتشر الإسلام في ربوع يثرب.

---

(١) الفضول: العطايا.

ولما كانت العقبة الثانية في الثالثة عشرة من البعثة النبوية، لقي الرسول هناك ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان فبايعوه، أما المرأتان فخزرجيتان، وأما الرجال فكانوا من الأوس والخزرج، وبينهم كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، وأوس أخو حسان، وقد طال لبعض الوقت إقبال حسان على الرسول لأنه كما يقال: إنه كان مشغولاً بالإحسان القائمة بين الأوس والخزرج، وكان مشغولاً أيضاً بحياة اللهو واللذات، وكان في غفوة جميلة يستعرض فيها ماضيه الحافل بالشام وفي قصور آل غسان، فترك قومه وشأنهم في اعتقاد الدين الذي يريدون، وترك لنفسه الاستمتاع بمباهج الحياة وملذاتها، ولكن الذي أوقف نفسه إلى التفكير بالدين الجديد هو تلك الحمية إلى قومه، فقد علمت قريش بخبر العقبة الثانية، وطاردت المؤتمرين فيها، وأسرت من أقرباء حسان سعد بن عباد، وفاتها المنذر بن عمرو بن خنيس من أخوال حسان، فقال في ذلك ضرار بن الخطاب القرشي:

تداركتُ سعداً عنوةً فأخذته

وكان شفاءً لو تداركتُ منذراً  
ولو نلتُهُ طَلْتُ هناك دماؤهُ  
وكان حريّاً أن يهان ويهدرا<sup>(١)</sup>

---

(١) طَلْتُ دماؤهُ: سفكت.



فما أحسنَ حَسَانَ القولِ حتى انتفض لقومه،  
 ولحقته الغيرة على كرامتهم ومصالحهم، ووجد نفسه  
 مضطراً للتفكير بالدين الجديد، وإلى أن يرتضي لنفسه ما  
 ارتضى قومه لأنفسهم، فما أن كانت الهجرة بعد العقبة  
 الثانية، وأخذت أضواء الفجر وطلّائع الصباح الوضيء تغمر  
 بطاح الحجاز وأوديته بالنور والهداية، وتعم أرجاء يثرب  
 بدخول الرسول إليها حيث لقيه الأنصار بالتهليل والتكبير  
 والاستباق على تكريمه والاحتفاء به حتى اهتز حَسَانُ لما  
 أصاب قومه من كرامة وعزة بدخول الرسول عليهم، فأقبل  
 على الرسول وأسلم مع سائر الناس الذين تهافتوا على  
 الرسول مبايعين، ومؤمنين بالدين الجديد، وقام بين يدي  
 الرسول يعلن إيمانه بالله ورسوله، وبالرسالة التي جاء  
 الرسول الكريم حاملاً لواءها وتعاليمها، فقال: (١)

شهدتُ بإذن الله أن محمداً  
 رسولُ الذي فوق السموات من علٍّ  
 وأنَّ أبا يحيى ويحيى كليهما  
 له عملٌ في دينه متقبَّلٌ (٢)

(١) الديوان ص ١٨٦ .

(٢) يحيى عند النصارى: يوحنا المعمدان.

وَأَنَّ التِّي بِالْجَزْعِ مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ  
وَمَنْ دَانَهَا فَلٌ مِنَ الْخَيْرِ مَعَزِلٌ<sup>(١)</sup>  
وَأَنَّ الَّذِي عَادَى الْيَهُودَ ابْنُ مَرْيَمَ  
رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مَرْسِلٌ<sup>(٢)</sup>  
وَأَنَّ أَخَا الْأَحْقَافِ إِذْ يَعْذِلُونَهُ  
يَقُومُ بَدِيلِينَ اللَّهِ فِيهِمْ، فَيَعْدِلُ<sup>(٣)</sup>  
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَا أَشْهَدُ مَعَكُمْ

وَعَرَفَ الرَّسُولَ نَفْسِيَةً حَسَانًا، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ رَجُلٌ يَحِبُّ  
الشَّهْرَةَ وَالْفَخْرَ فَكَرَّمَهُ الرَّسُولُ وَأَحْسَنَ وَفَادَتَهُ وَقَرَّبَهُ مِنْهُ،  
فَطَابَتْ نَفْسُ حَسَانٍ وَانْطَوَتْ جَوَانِحُهُ عَلَى الرِّضَا وَالْغُبْطَةِ  
بِتِلْكَ الْمَكَانَةِ الْكَرِيمَةِ مِنَ الرَّسُولِ الْعَظِيمِ فَصَدَحَ بِالشَّعْرِ  
مَعْلَنًا سُرُورَ الْأَنْصَارِ بِمَقْدَمِ الرَّسُولِ وَخِيَّةَ قَرِيشٍ بَارْتِحَالِهِ  
عَنْهُمْ فَقَالَ:

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ غَابَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ  
وَقَدْ سُرَّ مِنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي  
وَيَذْكُرُ فِي مَكَانٍ آخَرَ مَا لَقِيَ الرَّسُولُ مِنْ قَوْمِهِ بِمَكَّةَ

---

(١) الْجَزْعُ مِنَ الْوَادِي: حَيْثُ تَجْزَعُهُ وَتَقْطَعُهُ، وَنَخْلَةٌ: مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ  
وَالطَّائِفِ، دَانَهَا: عِبَادَهَا وَأَرَادَ بِذَلِكَ «الْعَزَى» صَنْمٌ لِقَرِيشَ وَبَنِي كِنَانَةَ،  
وَفَلٌ مِنَ الْخَيْرِ: أَيُّ لَا خَيْرَ فِيهِ.  
(٢) عَادَى الْيَهُودَ: أَيُّ عَادَاهُ الْيَهُودَ.  
(٣) أَخُو الْأَحْقَافِ: هُوَ النَّبِيُّ هُودٌ.

من سوء ومهانة، وما أصابه بالمدينة من حفاوة وتكريم  
وافتداء بالأموال والأنفس فيقول:

وثوى بمكة بضع عشرة حجة

يذكر لو يلقى خليلاً مواتياً

ويعرض في أهل المواسم نفسه

فلم يرَ من يؤوي ولم ير داعياً

وأدركت قريش أن حسان قد تحوّل إلى الإسلام،

وصار لساناً للدعوة الإسلامية المباركة، ومحامياً مدافعاً

عنها، فخشيت من ذلك لعلها مكانة حسان وقيمة شعره

وتأثيره على الناس، فانبرى له أمية بن خلف الجمحي يهجو

بقوله:

ألا من مبلغ حسان عني

مغلغلة تدبّ إلى عُكاظ<sup>(١)</sup>

أليس أبوك فينا كان قيناً

لدى القينات فسلاً في الحفاظ<sup>(٢)</sup>

فيجيبه حسان مهلداً متوعداً:

أتاني عن أمية زورٌ قولٍ

وما هو بالمغيب بذى حفاظ

---

(١) المغلغلة: الرسالة، وعكاظ: سوق بالمدينة.

(٢) القين: الحداد، والفسل: الضعيف الرذل.

سأُنشر إن لقيت لكم كلاماً  
يُنشر في المجامع من عكاظ

ولكنَّ الدعوة الإسلامية ازدادت اتساعاً وانتشاراً وأقبل  
الناس من كلِّ حدبٍ وصوب إلى الرسول يبايعونه على  
اعتناق الدين الجديد والالتزام بالتعاليم المباركة، فغاظ ذلك  
الكفار من قريش وحاولوا أن يشفوا غيظ صدورهم بالسبِّ  
والشتيمة تعبيراً منهم بسلاحهم الذي لم يستطع أن يواجه  
سلاح الهداية والعقل والرشاد، وانبرى ثلاثة من شعراء  
قريش يهجون الرسول ويتحاملون على الدعوة الجديدة،  
وهم عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث بن  
عبد المطلب، وعمر بن العاص، فما كان من الرسول إلَّا  
أن قال موجَّهاً كلامه للأنصار: ما يمنع القوم الذين نصروا  
رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بالسِّتيم؟ فقال حسان بن  
ثابت: أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به  
مِقُول بين بُصرى وصنعاء، ولو شئت لفريت به المِزاد<sup>(١)</sup>  
فقال: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: إنِّي أُسَلِّكُ منهم كما  
تسلُّ الشعرة من العجين، قال: فاذهب إلى أبي بكر ليحدثك  
حديث القوم وأيامهم وأحسابهم، ثم اهجهم وجبريل

---

(١) فرى الشيء: قطعه، والمِزاد: جمع مزادة وهي وعاء من جلد يوضع فيه الماء.

معك، فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت،  
 وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، فكان حسان وكعب  
 يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم  
 المثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم الكفر، فكان أشدَّ  
 القول عليهم في ذلك الزمان قول حسان وكعب، وأهونه  
 عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلمت قريش كان أشده عليهم  
 قول ابن رواحة، ولما أنشدت قريش شعر حسان قالت: إن  
 هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة وقال من لم يعلم منهم  
 أنه شعر حسان: لقد قال أبو بكر الشعر بعدنا<sup>(١)</sup> ولم يلبث  
 حسان أن اندفع في الدفاع عن الإسلام بكل ما أوتي من  
 شاعرية فذة ولسان وظفه في خدمة الدعوة مؤيداً ببركة  
 الرسول ودعواته وانبرى يجاهد الكفار والمنافقين فنال بذلك  
 كلَّ القبول والرضى من الرسول، حتى صار من المقربين  
 وذوي الزلفة لديه فأقامه وزير دعايته ومحامي دعوته وشاعر  
 رسالته ينافح عنه وعن الإسلام الأعداء ويردّ على كل من  
 تطاول على الإسلام والمسلمين بشعرٍ كان له وقع السهام  
 ونفع النبال وظلّ على تلك الحال مجاهداً حتى دخلت  
 الدعوة الإسلامية دوراً جديداً وبدأت الغزوات، ودارت  
 رحى الحروب، وكانت موقعة بدر الكبرى التي انتصر فيها

---

(١) راجع الأغاني الجزء الرابع ص ٤٠٥ طبعة الساسي والإستيعاب  
 ج ١/ ص ١٢٨ .

المسلمون، فإذا بحسان ينتفض انتفاض الصقر، فيقف على  
جثث القتلى من المشركين مصوراً معدداً سادتهم مردداً  
أقوال الرسول فيهم فيقول: (١)

يناديهم رسول الله لَمَّا

قذفناهم كباك في القلب (٢)

ألم تجدوا حديثي كان حقاً

وأمرُ الله يأخذ بالقلوب

فما نطقوا، ولو نطقوا لقالوا: .

صدقت وكنت ذا رأيٍ مصيب

ويمضي حسان في أشعاره متعقباً المشركين أحياءهم

وأمواتهم، ذاكراً لكل قوم منهم مثالبهم، مفتخراً بانتصار

الإسلام، متوسماً في بعض أبياته هدى القرآن ومعاني آياته

فيقول في معركة بدر مقتبساً الآيات القرآنية فيها:

ولأهم بغرورٍ ثم أسلمهم

إنَّ الخبيث لمن والاه غرَّار

وقال إنِّي لكم جارٌّ فأوردهم

شرَّ الموارد فيه الخزي والعار

وذلك اقتباساً من قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَإِذَا

---

(١) ديوان حسان ص ١٣ - ١٤ .

(٢) الكباك: الجماعات، والقلب: البشر، وهو قلب بدر الذي قذفت فيه  
قتلى قریش.

زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ  
النَّاسِ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ، فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكْصَ عَلَى  
عَقْبِهِ ﴿ وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ  
فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءَاتُهُمَا وَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا  
مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ .

وظَلَّ حَسَانٌ فِي مَجْمَلِ شَعْرِهِ مَدَافِعًا عَنِ الْإِسْلَامِ  
مَنَافِحًا عَنِ الرِّسُولِ وَاهْبَأَ نَفْسَهُ لِلَّهِ قَدْ أَسْلَمَ مَتَوَسِّمًا إِرْضَاءَهُ  
فِي كُلِّ مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ فَاسْمَعِهِ يَقُولُ:

اللَّهُ أَكْرَمَنَا بِنَصْرِ نَبِيِّهِ  
وَبِنَا أَقَامَ دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ  
وَبِنَا أَعَزَّ نَبِيَّهِ وَكِتَابَهُ  
وَأَعَزَّنَا بِالضَّرْبِ وَالْأَقْدَامِ  
فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ تَطِيرُ سَيُوفُنَا  
فِيهِ الْجَمَاجِمُ عَنْ فَرَاحِ الْهَامِ  
يَتَابِنَا جَبْرِيلُ فِي آيَاتِنَا  
بِفَرَائِضِ الْإِسْلَامِ وَالْأَحْكَامِ

فَهُوَ يَعُدُّ الْكِرَامَةَ كُلَّ الْكِرَامَةِ فِي نَصْرِ قَوْمِهِ لِلرِّسُولِ وَفِي  
إِقَامَةِ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ وَتَرْسِيخِهَا بِالسِّيفِ وَالْكَلِمَةِ وَيُنْشُرُ  
الْمُبَادِيءَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَالْأَحْكَامَ الْإِلَهِيَّةَ بَيْنَ النَّاسِ، وَهَذَا شَرَفُ  
لَا يَعَادِلُهُ شَرَفٌ مَهْمَا عَلَا لِأَنَّهُ شَرَفٌ يَسْتَمِدُّ بِرِيقِهِ وَرَفَعَتْهُ مِنْ

الإيمان بالله والانتصار لمبادئه والدّود عن شرائعه ورساله .

### وفاته :

عاصر حسان الخلفاء الراشدين وأدرك حكم معاوية ، فكان بذلك واحداً من المعمرين الذين عمّروا طويلاً وبلغوا من العمر أزدله ، وتكاد الأقوال تجمع على أنّ حسان قد عاش نحواً من عشرين ومائة سنة ، وأنه توفي أيام معاوية حوالي سنة ٥٤هـ - ٦٧٤م ويرى نولدكه أن حسان عاش دون المائة ، وأنه ولد حوالي سنة ٥٩٠م ، وتوفي حوالي ٦٦٠م قبيل خلافة معاوية ، ويستند في ذلك على قصائده التي قالها سنة ٦٥٦م وسنة ٦٥٧م اثر مقتل عثمان ، ورأى أنها قصائد تشتعل حماسة ولا تصدر عن شيخ بلغ من العمر عتياً ، ونولدكه في رأيه هذا لا يتفق مع أقوال المؤرخين بل هو يعتمد على الافتراض والاستناد إلى الشعر الذي لا يمكن أن يحدّد في بعض نواحيه وخاصة النواحي المرتبطة بالوجدان مدى ما بلغه الإنسان من العمر ، فالسنّ المتقدّمة لا يمكن لها أن تطفئ جذوة النفس وحرارة القلب وعزيمة التمسك بالحياة ، وبذلك يبقى رأي نولدكه فرضياً تعوزه الدقة لأنه يذهب إلى مخالفة ما أجمع عليه المؤرخون .

### أخلاقه وصفاته :

الذي يطالع شعر حسان يمكن أن يقف على بعض من أخلاقه وصفاته ، كما يمكن له أن يحدّد بعض جوانب



شخصيته، لأن الشعر يصوّر نفسية الإنسان ويرسم ملامحها ويعبر عن تطلعاتها وقد بدا حسان في أشعاره من المتعصبين لقومه اليمنيين مفتخراً بهم في كل مكان، فقد قهر الإسلام في نفس حسان كل شهوة إلا شهوة قوية ظلت تطل برأسها على كل مناسبة وهي شهوة الفخر بقومه وآبائه وأجداده والتعصب لهم وهذا الزهو بقومه جعله يزهو بنفسه ويفتخر بها ويطمح إلى أن يكون في المقدمة حتى ولو كان في ذلك الهلاك، فقد روي أنه تمنى أن تكون له زعامة الشعر ولو انتهى به ذلك إلى النار، فقد عقب على قول الرسول في امرئ القيس: يجيء يوم القيامة ويده لواء الشعراء يقودهم إلى النار، فقال حسان: ليت هذه المقالة فيّ وأنا المدهدى فيها،<sup>(١)</sup> وكان فيه عنجهية وصلف جاهلي لازماه بعد إسلامه كما أنه كان أبيّ النفس، ولم يعرف عنه أنه تكسّب بشعره، لأنه كان سيّداً شريفاً في منعة من قومه وفي تعالٍ من ذاته، ويبدو أنه كان سليم الطوية، وربما ينقاد إلى تصديق الادعاءات وثوقاً منه بآراء الغير وهذا ما جعله يذكر حادثة الافك في شعره، كما كان من الذين يتطيرون ببعض الأشياء، فمثل هذه الأشياء ساعدت البعض على اتهامه بأنه لم يتأثر بالإسلام إلا قليلاً، وأن قلبه لم يتشرب مبادئه، أما الحديث عن جنبه فترويه أكثر المصادر التاريخية مستندة إلى

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٣/ ٩٣ مطبعة الاستقامة القاهرة.

حادثة الحصن وطواف أحد اليهود به وكان فيه حسان مقيماً  
فقالت له صفية بنت عبد المطلب انزل إلى ذلك اليهودي  
واقته فقال حسان لها:

يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا  
بصاحب هذا، قالت: فلما قال لي هذا ولم أر عنده شيئاً  
احتجرت<sup>(١)</sup> ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه  
فضربت به العمود حتى قتلتها، فلما فرغت منه رجعت إلى  
الحصن فقلت يا حسان: انزل إليه فاسلبه، فإنه لا يمنعني  
من سلبه إلا أنه رجل، قال: مالي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد  
المطلب.

والأخبار تجمع وتتواتر على وصفه بالجبن وتخلفه عن  
الجهاد بالسيف ومع ذلك يكفيه فخراً أنه كان من المجاهدين  
بألستهم، وهو جهاد لا يقل مكانة عن الجهاد بالنفس، بل هو  
مستل منها ومن عزيمتها التي تختلف بين الناس حسب  
اختلاف طبائعهم ومشاربهم أمائقة بشعره وثقته بنفسه في غير  
مواضع القتال، فقد كانت كبيرة وقوية، وهو يتميز بالرأي  
الصريح والمجاهرة بالحق مهما كلفه من عناء ومشقة، وكان  
من الذين يخافون على المودات، ومن الذين يصبون جام

---

(١) احتجرت: شد وسطه.

(٢) راجع ابن عساكر تاريخ دمشق ج ٤ ص ١٣٩/١٤٠ وسيرة ابن هشام

غضبهم على الأعداء، وقد أفاده ترحاله إلى الملوك آداباً كثيرة  
كما أن الإسلام قد هذب بتعاليمه ما استفاده من رحلاته تلك  
فكان يكره النمام والمنافق ولا يداهن ولا يتملق، كما كان  
جامح الغضب شديد الانفعال هذه بعض أخلاق حسان وصفاته  
وهي لا شك أخلاق وصفات بشرية فيها ما يعجب وما لا  
يعجب، وليس هناك من إنسانٍ اكتملت فيه الصفات، لأن  
الكمال يظل ينقص الإنسان مهما حرص على بلوغه ..

## أغراضه الشعرية

### الفخر

حسان كغيره من الشعراء الجاهليين ، لم يترك في أشعاره غرضاً من أغراض الشعر إلا وتعرض له ، وهو لم يقصد ، كغرض مستقل أو كفن قائم بذاته ، وإنما كان ذلك عبر قصائده التي كانت في مجملها خاضعة لدواعي المناسبات والحاجات الذاتية ، فهو لم يخالف في أشعاره تقاليد القصيدة العربية بل كان واحداً من الذين نهجوا نهجها ودعموا أصولها وأرسوا قواعدها ، والفخر عند حسان جاء في ثنايا قصائده وعبر مواقف متعددة فرضت عليه مثل ذلك الفخر ردّاً على الأعداء ومعارضة لما يصدر عن شعرائهم من انتقاصٍ لقومه أو لما يؤمن به من حق وصواب .

ويبدو أن شعور حسان بمجد آبائه ومفاخر قومه قد قاده إلى أن يعلي من شأنهم تعصباً لهم على سبيل الردّ على الخصوم ، فالمعارك أو العداوة التي كانت سائدة بين قومه الخزرج وبين الأوس فرضت عليه مثل ذلك الشعر الذي ينوّه

بأيّام الاجداد والأسلاف إذكاءً لحماس النفوس وإثارةً  
 لمشاعر الولاء للقبيلة حتى يتكاتف جميع أبنائها في وحدة  
 متينة تصبح معها قادرة على الوقوف في وجه الأعداء وتحقيق  
 الانتصارات ويمضي حسان في تأصيل مفاخر قومه والتذكير  
 بماضيهم التليد في كلّ شعر ينظمه سواء أكان وصفاً أم غزلاً  
 أم مدحاً أم رثاءً أم إلى غير ذلك من بقية الأغراض الشعرية،  
 فغريزة الفخر كانت قاهرة في نفس حسان غداها ونمّاها وزادها  
 ذلك النسب العريق والجاه العريض، وللإطلاع على فخر  
 حسان لا بدّ أن نعود إلى شعره لنقف على مناحي فخره وهو  
 على كلّ حال فخر جاهلي لا يتعدّى مجال النفس أو القبيلة،  
 يقول حسان في إحدى قصائده: (١)

إنّ النضيرة ربّة الخدر  
 أسرت إليك ولم تكن تُسري (٢)  
 فوقفت بالبيداء أسألها  
 أني اهتديت لمنزل السّفر (٣)  
 والعيس قد رُفضت أرمته  
 ممّا يرون بها من الفتر (٤)

(١) ديوان حسان ص ٩٦ .

(٢) النضيرة: اسمٌ لامرأة، أسرت: من سرى بمعنى سار ليلاً.

(٣) السّفر: المسافرين.

(٤) رفضت: ألقيت، والأزمة: جمع زمام وهو ما تقاد به، والفتر: الأعياء.

كُنَّا إِذَا رَكَدَ النَّهَارُ لَنَا  
 نَغْتَالُهُ بِنَجَائِبِ خَمْرٍ<sup>(١)</sup>  
 عَوَجَ نَوَاجٍ يَعْتَلِينَ بِنَا  
 يَعْفِينَ دُونَ النَّصِّ وَالزَّجَرِ<sup>(٢)</sup>  
 مُسْتَقْبَلَاتٍ كُلِّ هَاجِرَةٍ  
 يَنْفَحْنَ فِي خَلْقٍ مِنَ الصُّفْرِ<sup>(٣)</sup>  
 وَلَقَدْ أَرَيْتُ الرِّكْبَ أَهْلَهُمْ  
 وَهَدَيْتَهُمْ بِمَهَامَةٍ غُبَرٍ<sup>(٤)</sup>  
 وَبَذَلْتُ ذَا رَحْلِي وَكُنْتُ بِهِ  
 سَمَحًا لَهُمْ فِي الْعَسْرِ وَالْيَسْرِ<sup>(٥)</sup>  
 فَإِذَا الْحَوَادِثُ مَا تَضَعُضَعُنِي  
 وَلَا يَضِيقُ بِحَاجَتِي صَدْرِي<sup>(٦)</sup>  
 يَعْيِي سَقَاطِي مِنْ يَوَازِنِي  
 إِنِّي لَعَمْرُكَ لَسْتُ بِالْهَذَرِ<sup>(٧)</sup>

(١) ركد النهار: طال، نغتاله: نقطعه، والنجائب: كرام النوق، والصمر: المواثيل الرؤوس من جذب الأزمة.

(٢) العوج: اللينة الأعطاف، والنواج: المسرعة، والنص: الحث.

(٣) الهاجرة: شدة الحر، وينفحن: يرمحن ويرفسن بأرجلهن، والصفر: النحاس.

(٤) المهامة: الفياقي والأراضي المقفرة.

(٥) السمع: الكريم والسهل الأخلاق.

(٦) تضعضعني: تفت من عزيمتي.

(٧) سقاطي: ما سقط مني من الشعر، والهذر، الكثير الكلام.

إني أكارم من يكارمني  
 وعلى المكاشح ينتحي ظفري<sup>(١)</sup>  
 لا أسرق الشعراء ما نطقوا  
 بل لا يوافق شعرهم شعري  
 إني أبى لي ذلكم حسبي  
 ومقالة كمقالع الصخر  
 وأخي من الجن البصير إذا  
 حاك الكلام بأحسن الجبر<sup>(٢)</sup>  
 قومي بني النجار رفدهم  
 حسن وهم لي حاضروا النصر  
 الموت دوني لست مهتظماً  
 وذوو المكارم من بني عمرو  
 جرثومة عز معاقلها  
 كانت لنا في سالف الدهر<sup>(٣)</sup>

فحسان في هذه القصيدة التي يحاول بها أن يفتخر  
 بنفسه وبقومه نراه يجري على عادة أقرانه من الشعراء  
 الجاهليين فيبتدىء متغزلاً ذاكراً ديار الحبيبة وشوقه إليها

(١) المكاشح: المعادي.

(٢) أخي من الجن: أي شيطانه، وكان العرب يعتقدون بوجود شياطين  
 تملي على الشعراء أشعارهم.

(٣) الجرثومة: الأصل، والمعاقل: الحصون.

وهذا ما يحمله إلى ذكر السفر والرحيل فيذكر عندئذ الناقة التي تقطع به المهامه وتوصله إلى حيث أراد واصفاً معاناته وما كابده في سفره من عناء ومشقة متنقلاً بعد ذلك إلى الحديث عن نفسه وشعره وقومه، فيروي لنا ركوبه الأهوال ومواجهته الأخطار، ويفتخر بهدايته للركب وبذله لرفاقه كل عون ومساعدة في العسر واليسر، وهو في كل ذلك قويٌ منيع لا تضعفه النوائب ولا تفت من عزمه الصعاب ولا توهن إرادته المشقات ويستطرد في فخره فيرى نفسه غالباً لمن يوازنه أو يقاربه في المكارم والاحساب والنظم، وينتهي بعد ذلك إلى الفخر بقومه فيذكر حسن رفدهم وسرعة نصرهم وامتناعه بهم فهم جرثومة عزَّ حصونها منيعة ومعقلها رفيعة وهكذا نرى فخر حسان لا يختلف عن فخر غيره من الشعراء ولا يتعدى حدود القبيلة والذات، ويقول في قصيدة أخرى مفتخراً بقومه: (١)

أولئك قومي فإن تسألني  
كراً إذا الضيف يوماً ألم<sup>(٢)</sup>

عظام القدر لأيسارهم  
يكبّون فيها المسنّ السنم<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٢) ألم: نزل.

(٣) الأيسار: الجزور.



يواسون مولاَهُمْ في الغنى  
 ويحمون جارهم إن ظلم<sup>(١)</sup>  
 وكانوا ملوكاً بأرضيهم  
 يبادون غضباً بأمرٍ غشم<sup>(٢)</sup>  
 ملوكاً على الناس لم يملكوا  
 من الدهر يوماً كحلّ القسم<sup>(٣)</sup>  
 فأنبوا بعادٍ وأشياءها  
 ثمود وبعض بقايا إرم<sup>(٤)</sup>  
 يشرب قد شيدوا في النخيل  
 حصوناً ودُجّن فيها النعم<sup>(٥)</sup>  
 جياذ الخيول بأجناهم  
 وقد جلّلوها ثخان الأدم<sup>(٦)</sup>  
 عليها فوارس قد عاودوا  
 قراع الكماة وضرب البُهم<sup>(٧)</sup>

(١) المولى: العبد.

(٢) المباداة: المكاشفة، والغشم: السيء الطلم.

(٣) كحلّ القسم: هو مثل قولك «إن شاء الله».

(٤) أنبوا: سهّل أنبأوا.

(٥) دُجّن: جعله داجناً أي رَوْضوا الأنعام.

(٦) قوله بأجناهم: أي مقودة بأجناهم.

(٧) عاودوا: أي تعوّدوا، واليهيم: جمع بهمة وهو الفارس الذي الأيدري من أين يؤخذ.

ليوت إذا غضبوا في الحروب  
لا ينكلون ولكن قُدم<sup>(١)</sup>

فهو هنا يذكر قومه ومآثرهم وعاداتهم، ويرى أن الكرم  
شيمة من شيمهم، أبوابهم مشرعة للضيوف، وقدورهم  
كبيرة لأنها أعدت لاستقبال الكثير من الناس، وهم يشاطرون  
عبيدهم في أموالهم، ويحمون جيرانهم من كل ظلم،  
فالنازل في ديارهم مكرم والملتجئ إليهم منيع والمجاور  
لهم في أمنٍ وحملٍ لأنهم ملوك سادة، وفرسان قادة،  
والحروب لهم عادة، تراهم يقدمون على الموت إيماناً منهم  
بالعز والنصر، ويقول في موضع آخر: <sup>(٢)</sup>

فإن كنت لما تخبرين فسألي  
ذوي العلم عنا كي تنبي فتعلمي  
متى تسألي عنا تنبي بأننا  
كرامٌ وأنا أهل عزٍّ مقدّم  
وأنا عرانيّ صقورٌ مصالت  
نهز قنأة منها لم يوصم<sup>(٣)</sup>  
لعمرك ما المعترُّ يأتي بلادنا  
لنمنعه بالضائع المتهضم<sup>(٤)</sup>

---

(١) ينكلون: ينكصون ويفرون.

(٢) ديوانه ص ٢٣٧ .

(٣) العرانيّ: السادة، والمصالت: الماضون في الأمور، ويوصم: يعاب.

(٤) المعترّ: طالب المعروف، والمتهضم: المظلوم.

ولا ضيفنا عند القرى بمدفعٍ  
ولا جارنا بالنائبات بمُسلم<sup>(١)</sup>

وما السيد الجبار حين يريدنا  
يكيد على أرماحنا بمحرّم  
نبيح حمى ذي العزّ حين نكيدهُ  
ونحمي حمانا بالوشيح المقوم<sup>(٢)</sup>

ففي هذه الأبيات التي يمكن أن نعدّها من روائع  
فخره، نرى كيف تتحوّل الكلمات فيها إلى صوارم قاطعة  
تتشابك مع ذلك الإحساس بالتيه والعزّ، وتتواءم مع الروح  
المتوثبة التي تفيض فخراً وعلاءً فهو يتوجّه إلى من تسأل عنه  
وعن قومه طالباً منها أن تستخبر لتقف على الحقيقة التي لا  
ينكرها أي إنسان، ولا يجهلها أحدٌ لأنها معلومة يعرفها  
القاصي والداني ويتحدّث عنها كلّ من أوتي من العلم  
نصيباً، ومن الشهامة قدراً، ولسوف يتبيّن لها بعد التقصي  
أنه من قوم الكرم عادتهم والشجاعة فيهم يبطشون بالجبار  
الذي يكيدهم، حماهم في عزّ، ومنعة لأنهم يدفعون  
بسيوفهم ورماحهم كل من يحاول أن يستبيح ديارهم أو  
ينتقص أقدارهم.

---

(١) مدفع: الممنوع عن الطعام.

(٢) الوشّيح: الرماح، والمقوم: المثقف.

وهكذا نجد حسان في فخره يركّز على قيم جاهلية رأى فيها القوم آنذاك كلّ الصفات المجيدة التي تحوّلت إلى تقاليد موروثّة تجمع شتات الفضائل والمحامد والمكرّمات، ولم يتغيّر فخر حسان بعد إسلامه كثيراً عن ذلك الفخر في الجاهلية لأنّه ظلّ في حدود القيم المتعارف عليها وإن ناله بعض التجديد فإنّه تجديد لا يعدو كونه افتخاراً بنصرة الدين الجديد والدفاع عنه يقول حسان: (١)

هل المجد إلّا السّودد العود والندى

وجاء الملوّك واحتمال العظام (٢)

نصرنا وآوينا النبي محمّداً

على أنف راضٍ من معدٍّ وراغم

بحيّ حريدٍ أصله وذماره

بجاية الجولان وسط الأعاجم (٣)

نصرناه لمّا حلّ وسط رحالنا

بأسيافنا من كلّ باغٍ وظالم

جعلنا بيننا دونه وبناتنا

وطبنا له نفساً بقيء المغانم (٤)

---

(١) ديوانه ص ٢٢٩ .

(٢) العود: القديم .

(٣) الحريد: المنفرد من القبيلة، وأراد بالأعاجم: آل غسان .

(٤) الفيء: ما فاء للمسلمين من الغنائم من غير حرب .

ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا  
على دينه بالمرهفات الصوارم<sup>(١)</sup>  
ونحن ولدنا من قریشٍ عظیمها  
ولدنا نبی الخیر من آل هاشم  
لنا الملك في الإشراف والسبق في الهدى

ونصر النبي وابتناء المكارم  
فحسان في هذه الأبيات يرى المجد عادة في قومه،  
إنهم يتوارثونه بل يأبى المجد إلا أن يكون فيهم ومعهم،  
ففي الجاهلية كانوا الملوك والسادة، ولما جاء الإسلام كانوا  
السَّابِقين إلى اعتناقه والذود عنه، وكان لهم شرف الإيمان  
وشرف نصرة النبي الذي تربطه بقومه أواصرهم، وأواصر  
إيمان بالدعوة التي بذلوا في سبيلها كلَّ غالٍ ونفيس.

وهكذا يبدو للذي يتتبع فخر حسان في كلِّ أشعاره،  
أنه ظلَّ فخراً جاهلياً لم يتأثر بتعاليم الإسلام كثيراً، وربما  
اضطره الردُّ على خصوم الإسلام أن يحافظ على مثل ذلك  
القول الذي يتغنَّى بالاحساب والانساب والأيام والمواقع،  
ويذكر فيه المواقف التي انتصر بها قومه في سالف الزمن،  
والمواقف الجديدة التي انتصروا فيها للإسلام وذاذوا عنه  
بكل ما ملكوا من عزٍّ ومجد وغنى ومكارم.

---

(١) المرفعات: السيوف.

## المدح

والمدح عند حسان ليس بعيداً عن الفخر، لأنه يتناول القيم نفسها التي يركّز عليها، فإذا كان الفخر هو تمجيد المزايا والصفات فإن المدح كذلك تمجيدُ لهما وتبيان لما يمتلكه الممدوح منهما، وحسان ليس شاعر مديح لأن نفسيته المتعالية وسيادته في قومه وشعوره بالعزة والمنعة والشرف، جعله يميل عن المديح إلى الفخر، والمتّبع لأشعاره سوف يلاحظ أن المديح فيها لا يمثل إلا حيزاً ضئيلاً منها، وهو يأتي نتفاً متباعدة في معرض إشادته ببعض الأقوام الذين تربطه بهم علاقات مودّة وجوار، أو مصالح مشتركة، والمديح في معناه العام أن توجّه إلى الممدوح من صفات الخير ما يكون له وفيه وما يليق به، وقد جاء في بعض المصادر أن حسان «كان يمدح الملوك والمناذرة والغساسنة في الجاهلية، ويرحل إليهم فينال منهم جزيل العطايا، وأكثر من كان يمدحهم ويكثر انتجاعهم آل جفنة من ملوك غسان»<sup>(١)</sup>.

---

(١) الوسيط: ص ١٥٩ .

ويرى بعض الباحثين أنَّ حسان بن ثابت لم يكن شاعر مدح، والمدح أقلّ الفنون حظاً في شعره، وقد جاء ذكر الممدوحين في أشعاره عابراً، ولكنه اختص آل جفنة من ملوك غسان بقصيدة مشهورة، وتكاد تكون تلك القصيدة أطول مدائحه إذ لا يعلم له في هذا الباب غير أبيات متفرقة جاءت كما ذكرنا في ثنايا الفخر بنفسه وبقومه، ومن ذلك قوله في مدح ابن سلمى النعمان بن المنذر:

أكلّفها أن تسدلج الليل كلّهُ

تروح إلى باب ابن سلمى وتغتدي  
وألقيته بحرّاً كثيراً فضوله

جواداً متى يذكر له الخير يزدد  
فهو في مديحه ذاك لم يزد على ذكر بيت واحد، لأن البيت الأول يتوجّه فيه إلى ناقته التي حملته إلى النعمان، ويمدح في قصيدة أخرى خاله بيت شعري واحد يأتي كذلك في معرض الفخر بنفسه، وارتضائه إياه حكماً بينه وبين خصم له فيقول عنه:

له كفّ تفيض دماً وكفّ

يباري جودها سحّ الشّمال

وله كذلك أبيات في مدح بني عبد الدار من قریش

وهي: (١)

---

(١) ديوانه ص ١١٤.

كانت قریش بیضۃً فتفلّقت  
 فالمحُ خالصه لعبد الدّار  
 ومناۃ ربّي خصهم بکرامۃ  
 حجاب بیت الله ذی الأستار  
 أهل المکارم والعلاء وندوة  
 النادي وأهل لطیمة الجبار<sup>(١)</sup>  
 ولوا قریش فی المشاهد کلّها  
 وبنجدة عند القنا الخطار<sup>(٢)</sup>  
 وفي معرض رثائه للحارث الجفنی أحد ملوک  
 الغساسنة الذی یقال إنه قتل فی حرب له مع المناذرة تراه  
 یشید بالغساسنة ویدم القبائل التي تخلّفت عن نصرته فیقول  
 فی مدحهم: <sup>(٣)</sup>  
 من جذم غسان مسترخٍ حمائلهم  
 لا یغبقون من المعزی إذا أبوا<sup>(٤)</sup>  
 ولا یذادون محمراً عیونهم  
 إذا تحضر عند الماجد الباب<sup>(٥)</sup>

(١) اللطیمة: العیر تحمل الطیب.

(٢) القنا: الرمح.

(٣) دیوانه ص ١٩.

(٤) الجذم: الأصل، ویغبقون: یشربون.

(٥) یذادون: یدفعون. تحضر: أي إزدحم الناس.



كانوا إذا حضروا شيب العقار لهم  
وطيف فيهم بأكواس وأكواب<sup>(١)</sup>

والمطلع على شعر حسان في معرض هذا الباب يرى  
أن حسان لم يكن ليتكسب بشعره لأنه يمنعه من ذلك اعتداد  
بالنفس وفخر بالقوم والعشيرة، فهو لا يرى في الممدوحين  
أشياء يعزّ وجودها في نفسه وفي قومه، ولذلك فهو يتعامل مع  
السادة تعامل النّدّ للند والقريّن للقريّن، ومن أجل ذلك قل  
المدح في قصائده وكثر الفخر حتى نكاد نجده في كل  
قصيدة، ولعلّ قصيدته في الغساسنة هي القصيدة اليتيمة  
التي تناول فيها أبناء جفنة مادحاً وتقول الروايات إن مدحه  
لهم كان بحضور النابغة وعلقمة وقد مرّ ذكر هذه القصيدة في  
معرض حياته حيث تحدّثنا عن اتصاله بالغساسنة، ولا بأس  
من ذكر بعض أبياتها، يقول حسان:

لله درّ عصابة نادماتهم  
يوماً بجلّق في الزّمان الأول  
يمشون في الحلل المضاعف نسجها  
مشي الجمال إلى الجمال البزل  
الضاربون الكرش يرق بيضه  
ضرباً يطيح له بنان المفصل

---

(١) شيب: خرج، وفي البيت: قواء وهو اختلاف حركة الروي.

أولاد جفنة حول قبر أبيهم  
قبر ابن مارية الكريم المفضل  
يغشون حتى ما تهرُّ كلابهم  
لا يسألون عن السّواد المقبل  
يسقون من ورد البريص عليهم  
بردى يصفق بالرحيق السلسل  
بيض الوجوه كريمة أحسابهم  
شم الأنوف من الطراز الأول

فقد أجاد حسان في هذه القصيدة، إذ مدحهم بخير ما  
تمدح به الملوك وما تميّز به عن غيرها من الناس وقد أشار  
ابن سلام الجمحي إلى مديحه فقال: إنه من شعر حسان  
الجيد، وقالوا إن الحطيئة لما حضرته الوفاة قال: أبلغوا  
الأنصار أن أخاهم أشعر الناس حيث يقول:

يغشون حتى ما تهرُّ لكلابهم  
لا يسألون عن السّواد المقبل

وقال عبد الملك بن مروان: إن أمدح بيت قالته  
العرب بيت حسان هذا،<sup>(١)</sup> وهكذا يدلونا أن حسان لم يكن

---

(١) راجع طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي، والعمدة لابن رشيد  
القيرواني.

شاعر مدح للأسباب التي ذكرناها من قبل ، ولكنه إذا مدح  
فهو ليس بخارج عن السّنن التقليدي لأنه شاعر سار على  
خطى أسلافه واستعار منهم قيمهم وأوصافهم فكان مدحه  
يتوسّل كلّ ما ارتضى أن يكون مبعثاً للمكارم ومعلّياً للمزايا  
والمناقب.

## الهجاء

الهجاء فنّ من أهم الفنون الشعرية التي أكثر منها الشعراء الجاهليون وهويكاد والفخري مثل نسبة عالية من ذلك الشعر نظراً للظروف التي كان العرب يعيشونها في جاهليتهم وهي ظروف قاسية حوّلت حياتهم إلى حياة غير مستقرة تشوبها النزاعات الدائمة والمعارك المتلاحقة التي طالت إلى سنوات متعدّدة كما هو الحال في حرب البسوس وحرب داحس والغبراء، وقد قادتهم تلك الظروف إلى نوع آخر من الحرب هي الحرب الكلامية التي كان الشعر وسيلة هامة من وسائلها، بل نكاد نقول: الوسيلة الوحيدة التي لا وسيلة لهم غيرها، ولذلك فقد انبرى الشعراء من القبائل المتقاتلة كل يحاول أن يؤيد قبيله بما أوتي من ملكة شعرية مستخدماً لسانه بدل السيف والسنان، ذاكراً أمجاد قومه وأيامهم مفتخراً بأنسابهم وأحسابهم، معيّراً أعداءهم بمثالبهم وهاجياً أحسابهم وأنسابهم وأفعالهم، مستعملاً كل الوسائل من أجل الإيذاء والتحقير، ولذلك نرى شعر الهجاء يشيع بين القبائل، ويسري فيها سريان النار في الهشيم حيث سرعان

ما تتلقفه الألسن وتردده على المسامع رجاء أن يؤدي دوره  
الهام في تحقير الأعداء والنيل من الخصوم.

إذاً لقد كانت أيام العرب داعية إلى قيام نهضة أدبية  
تؤثر ناراها، وتسجل آثارها وكان الفخر والهجاء دعامتي  
تلك النهضة وأبرز فنون الشعر فيها، وكانت أيام الأوس  
والخزرج من أشهر أيام الجاهلية، وقد اقترنت بذكر جماعة  
من كبار الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ولم يكن لحسان  
من بدّ - وهو الشاعر الخزرجي الذي رعى مصالح قومه  
وعاش عمره في سبيلها - من أن يساهم في المعارك الحربية  
بلسانه حيث كان يباهي بأيام قومه ويذكر أمجادهم ويردّ على  
المتعرضين لهم بما كان يُسمى شعر المناقضات، وذلك  
الشعر الذي تطوّر فيما بعد وازدهر في العصر الأموي على  
لسان المثلث الأموي - جرير والأخطل والفرزدق - وكان مع  
حسان في مناقضاته عبد الله بن رواحة، وكان في طليعة  
المنافحين عن الأوس قيس بن الخطيم وأبو قيس بن  
الأسلت، وتدور المعارك الشعرية بين حسان وقيس أي بين  
الخزرج والأوس فترى قيس بن الخطيم يحاول في قصيدته  
التي يقول فيها: <sup>(١)</sup>

ردّ الخليط الجمال فانصرفوا

ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

(١) ديوانه ص ١١٣ - ١١٦ - دار صادر.

أبلغ بني جحجبي وقومهم  
خطمة أنا وراءهم أنف<sup>(٢)</sup>  
وأنا دون ما يسومهم الأعداء  
من ضيم خطة نكف<sup>(٣)</sup>  
نفلي بحدّ الصفيح هامهم  
وفلينا هامهم بنا عنف<sup>(٣)</sup>  
أن ينال من قوم حسان، وأن يلحق بهم ما يؤذيهم  
ويذكر مثالبهم، ويردّ حسان عليه في قصيدة يعارض ما جاء  
في قصيدته فيقول: <sup>(٤)</sup>  
ما بال عيني دموعها تكف  
من ذكر خودٍ شطت بها قذف<sup>(٥)</sup>  
بانت بها غربة تؤم بها  
أرضاً سوانا فالشكل مختلف<sup>(٦)</sup>  
ما كنت أدري بوشك بينهم  
حتى رأيت الحدوج قد عزفوا<sup>(٧)</sup>

(١) بنو جحجبي وخطمة: من الأوس، وأنف: أهل إباء.

(٢) نكف: جمع ناكف أي ممتنع.

(٣) نفلي: نعلو، والصفيح: السيوف.

(٤) ديوانه ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٥) تكف: تنهمر، والخود: الفتاة الحسنة الخلقة.

(٦) بانت: بعدت، والغربة: النؤي والبعد.

(٧) الحدوج: مراكب النساء، وعزفوا: انصرفوا.

فغادروني والنفس غالبها

وما شَفَّها والهموم تعتكف<sup>(١)</sup>

إلى أن يقول:

دع ذا وعدَّ القريض في نفرٍ

يدعون مجدي ومدحتي شرف

إن أدعُ في المجد القهَم سلفاً

أهل فعالٍ يبدو إذا وُصفوا

بلغ عني النبيت قافيةً

تذلُّهم إنهم لنا حلفوا<sup>(٢)</sup>

بالله جهداً لنقتلنكم

قتلاً عنيفاً والخيل تنكشف<sup>(٣)</sup>

أو ندعُ في الأوس دعوةً هرباً

وقد بدا في الكتيبة النصف<sup>(٤)</sup>

كنتم عبيداً لنا نخولكم

من جاءنا والعبيد تضطعف<sup>(٥)</sup>

شأنكم جدُّكم وأكرمنا

جدُّ لنا في الفعال يتصف

---

(١) شَفَّها: براها وأسقمها، وتعتكف: تدوم.

(٢) النبيت: حيٌّ من الأوس.

(٣) تنكشف: تنهزم.

(٤) النصف: المرأة الوسط في سنّها.

(٥) نخولكم: نجعلكم عبيداً.

تجعلُ من كان المجد محتدُهُ  
كأعبد الأوس كلما وصفوا  
هلاً غضبتُم لأعبد قتلوا  
يوم بعثَ أظْلَهُم ظلف<sup>(١)</sup>  
نقتلهم والسيوف تأخذهم  
أخذاً عنيفاً وأنتمُ كشف<sup>(٢)</sup>

وهكذا نجد حسنًا في هذه الأبيات يردُّ على قيس  
مناقضاً ما جاء في قصيدته مبتدئاً على عادة الشعراء بالغزل،  
منتقلاً بعد ذلك إلى غرضه بقوله «دع ذا» ذاكراً أمجاد قومه  
الذين لهم في المعارك والانتصارات قدمٌ سابقة، والذين  
يعرفون إذا وصفوا بما لهم من مآثر وأيام لا تنسى، ثم يذكر  
بعد ذلك النبيتين من الأوس بما يذلُّهم ويشينهم ويتوعدهم  
بالقتل والهزيمة، وينعتهم بالجبن والفرار من المواجهة  
ويذكرهم بيوم بعث الذي سامهم فيه الخزرجيون الذلَّ  
والمهانة وقتلوا فيه ساداتهم وأخذوهم أخذاً عنيفاً فيه كثير من  
القسوة ومن البلاء والشجاعة.

إذاً لقد كان حسنًا لسان قومه والمنافع عنهم بكلِّ ما  
أوتي من شاعرية قادرة على إسكات الخصم والنيل منه، هذا

---

(١) ظلف: شدة وحاجة.

(٢) كشف: منهزمون.



ولم يعد حسان وسيلة إلا واستعملها في الدفاع عن قومه وقبيله، وكان في كل أشعاره التي يناقض بها الأعداء مازجاً الفخر بالهجاء، متوسلاً فيهما الوصول إلى غاياته إذ لا يمكن أن يرد على الأعداء بما يشينهم إلا ويذكر ما لقومه من مفاخر تزيد في إغاضتهم، يقول في إحدى قصائده التي يرد بها على أبي قيس بن الأسلت: <sup>(١)</sup>

ألا أبلغ أبا قيس رسولاً  
إذا ألقى لها سمعاً تبين <sup>(٢)</sup>  
قتلتُم واحداً منا بألفٍ  
هلا لله ذا الظفر المبين  
وذلك أن ألفكم قليلٌ  
لواحدنا، أجل أيضاً ومين <sup>(٣)</sup>  
فلا زلتُم كما كنتم قديماً  
ولا زلنا كما كنا نكون  
يطيفُ بكم من النجار قومٌ  
كأسد الغاب مسكنها العرين  
كأننا إذ نساميكم رجالاً  
جمالاً حين يجتلدون جون <sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٢) الرسول: أي الرسالة، وتبين: تظهر وتبين له ما فيها.

(٣) مين: أصلها مثن، خففت الهمزة لضرورة الشعر.

(٤) يجتلدون: يقتلون، والجون: من الأضداد ويطلق على الأبيض الأسود.

فحسان يرى في هذه الأبيات أن أولئك الأعداء ليسوا من الأكفاء أو من الذين يمكن لهم أن يفاخروا قومه بحسب أو نسب أو شجاعة، وهو يحاول أن يقلل من شأنهم إيذاءً لهم وتحقيراً لكرامتهم فالواحد من قومه يعدل ألفاً منهم، والألف منهم إذا ما قتلوا قليل بالنسبة لقتل واحدٍ منهم، هكذا هم بنو النجار، قليلهم كثير، لأنهم كأسد الغاب لا يمكن أن ينال منهم عدو ولا يمكن أن يساميهم في الفخر أي متناول.

ويركز حسان في كل أشعاره ما استطاع على النيل من الأعداء وذلك عن طريق الفخر والاستعلاء كأن سبيله إلى الحط من عدوه في ذلك الزهو والتعالي الذي يحس بوساطته أنه يبلغ من عدوه به ما يريد من إيذاء واحتقار، يقول في هجاء مزينة التي ناصرت الأوس في حربها مع الخزرج: (١)  
جاءت مزينة من عمق لتنصرهم

فرُّي مزينة في أستاذك القتل (٢)  
فكلُّ شيءٍ سوى أن تذكروا شرفاً  
أو تبلغوا حسباً من شأنكم جلال (٣)

(١) ديوانه ص ٢٠١ .

(٢) القتل: الواحد فتيل وهو الحبل، والأستاذ: جمع أستاذ وهي فتحة المؤخرة.

(٣) الجلال: من الأضداد وهي بمعنى الهين والعظيم.

قومٌ مدانيس لا يمشي بعقوتهم

جاراً، وليس لهم في موطن بطل<sup>(١)</sup>

فهو في هذه الأبيات لا يتورّع عن الإيذاء بما يفحش  
من القول بل نراه يحاول أن ينال من خصومه بما يثير من  
ألمهم وبما يزيد في تحقيرهم، ومن ثم يقارن بين شرف  
قومه وشرفهم الذي لا يمكن لهم أن يدانوا فيه قبيله مهما  
جهدوا، لأنه لا شيء يجمع بين الفضيلة والدنس، والشرف  
والحقارة، فأعداؤه قومٌ ضعفاء، لا يجيرون وليس لهم في  
مواطن البلاء ذكر يذكر أما قومهم فهم في كل أشعاره أهل  
نجدة وكرم وبلاء.

ويحاول حسان في شعره الهجائي أن يذلّ الأعداء  
بكافة الوسائل مستخدماً شاعريته القوية التي تنصبُّ على  
الأعداء انصباب الصقر على الفريسة يقول في هجاء  
مذحج: (٢)

بنى اللؤم بيتاً على مذحج  
فكان على مذحج تُرتباً<sup>(٣)</sup>  
ولو جمعت ما حوت مذحجُ  
من المجد ما أثقل الأرنبا

---

(١) العقوة: الساحة.

(٢) ديوانه ص ٣٢.

(٣) مذحج: أبو قبيلة من اليمن، والترتب: الشيء الثابت المقيم.

ألا ترى في هذين البيتين تهكُّماً مرّاً يستخفُّ من أولئك القوم ويجعلهم يَغضُّون أبصارهم عاراً كما فعلت نمير من بعد هجاء جرير لهم، إن في هذين البيتين من الازدراء والتهكُّم والسخرية ما يجعل مذحج تخنس وتستكين وتعترف بالهزيمة، وفي ذلك التردد لكلمة «مذحج» ما يؤكد على حقارتهم واستصغارهم والنيل منهم، ثم إن في هذين البيتين من الخفة والرشاقة ما يسهل تناقلهما على الألسن بحيث يرُدُّهما الركبان ويسريان على الألسن سريان النار في الهشيم.

فهذا الشعر الذي يحاول فيه حسان أن ينال من الأعداء ويذلهم بما يستعمل فيه من أساليب الفحش والإغاضة، هو شعر يخالف فيه الشاعر النهج الجاهلي، ولكننا نعود لنقول: بأن حسان لم يكن ليتورّع في سبيل الدفاع عن قومه من أن يستخدم كافة السُّبل حتى ولو كان ذلك الهجاء المقذع الذي يخالف كلَّ أدبٍ وحشمة.

## الوصف

الوصف من الفنون الشعرية التي لَوْنُ بها حَسَانُ قصائده، والمعروف أنَّ حَسَانَ قد أكثر الرحيل والتجوال، وقصد أرض الحيرة وبلاد غَسَّانَ، فكان له من مشاهداته وتجواله في الأرض الواسعة مادة خصبة أغنت خياله ووسَّعت أفاق هذا الفنَّ عنده، والنفوس الشاعرة المرفهة كالعدسات الحساسة تنطبع فيها المشاهد كُلِّها ويهتزُّ فيها حسُّ الجمال لمختلف ألوانها، سواء في ذلك ممتعها وموجعها، وضاحكها وعابسها وصاحبها وصامتها وكئيها ورائعها، ولا شك في أنه قد عرض لحسان في رحلاته الكثيرة - ولا سيما في بلاد الشام - صورٌ منها، حرَّكت في قلبه أوتار الشعر، وغمرته بروعة الجمال، فوصفها في المناسبات التي توافقها من غزل وفخر، وذكرٍ لحياة اللهو والنعيم والشراب التي ذاقها وأحبها في المدينة وفي قصور غسان.

وأكثر الأشياء التي وصفها حَسَانُ في شعره قبل الإسلام الخمر، وكان في وصفها مبدعاً وفي بيان أثرها في الجسوم والأنفس مصوراً، ذلك لأنه على ما يبدو كان من

صفوة عشاقها ولأنه شهد من مجالسها الحافلة بأرض الشام  
ما خلّد في نفسه صورتها وما ظلّ يطلُّ برأسه في كل مناسبة  
متردّداً على لسانه، فاسمعه يقول في هذه الأبيات: (١)

أنظر خليلي ببطن جلق هل  
تؤنس دون البلقاء من أحد (٢)

جمال شعناء قد هبطن من المح  
بس بين الكشبان فالسند (٣)

يحملن حواء، حور المدامع في الرّ  
يط وبيض الوجوه كالبرد (٤)

من دون بصرى وخلفها جبل الث  
لج عليه السحاب كالقدد (٥)

تقول شعناء لبو تفيق من الكأ  
س لألفيت مُثري العدد

---

(١) ديوانه ص ٦٦ - ٦٧ .

(٢) جلق: دمشق، والبقاء: كورة من أعمال دمشق.

(٣) المحبس: اسم موضع، والسند كذلك.

(٤) الحوّ: الواحدة حواء، من كان في شفتها سمرة، والحوور: جمع حوراء وهي التي اشتدّ بياض عينها واشتدّ سوادها، والرّيط: جمع ريطه وهي الملاء.

(٥) القدد: القطع، ولعلّه أراد بجبل الثلج جبل حرمون.

أهوى حديث الندمان في فلق  
 الصبح وصوت المسامر الغرد<sup>(١)</sup>  
 يأبى لي السيف واللسان وقو  
 مٌ لم يضاموا كلبدة الأسد  
 لا أحدثُ الخدش بالنديم ولا  
 يخشى جليسي إذا انتشيت يدي<sup>(٢)</sup>  
 ولا نديمي العضّ البخیل ولا  
 يخاف جاري ما عشت من ويد<sup>(٣)</sup>

فهو في هذه الأبيات المرحّة الفتية المنزع، الخفيفة  
 الظل، اللطيفة الروح يذكر مواضع في الشام علفت في  
 ذاكرته وظلّت تطل برأسها في كل حين مذكرة بأيام اللهو  
 والشباب والمتعة، فيتحدّث عن جمال شعّاء، وعن جمال  
 من تحمل الهودج من النساء في الرقائق والرياط من كلّ  
 حوراء، ويقسم قسم البرّ المجتهد على وفائه لشعّاء بالعهد،  
 وأنّه ما أحبّ من أحد حبها، ويصل ذلك بلومها له على  
 الإكثار من الشراب، ويافئانه ما له فيه، فيردّ مقرّراً حبّه  
 لمجالس الخمر، وأنسه بحديث النديم في فلق الصبح،

(١) الندمان: جلساء الشراب، والغرد: المغني.

(٢) أحدث النديم: أعياه وأؤذيه.

(٣) العضّ: القابض على ماله أي البخيل والسيء الخلق، والويد: سوء  
 الحال والفقر.

وتغريد المغنين في الليالي الجميلة الممتعة، ومجالسته  
الكرام من أمثاله الذين يجودون بما يملكون، كل ذلك في  
لفظٍ عذب وتعبير جميل وتصوير رائع يحرك في النفوس  
الحنين إلى عهود الشباب حيث الأُنس والسمر، وحيث  
العزيمة والإصرار، وحيث الذكريات التي لا تنسى، ولا بدّ  
أن نشير هنا إلى ميزة هامة فيه، وهي أنه في شرابه لا يفقد  
عقله ولا يؤذي ندماءه، فهو موفور الكرامة يحافظ على أدب  
الندامة ويحرص على أن لا يشين مجالس الأُنس بما يعكر  
صفوها وروعتها، ومن روائع قصائده التي يذكر فيها الخمر  
ويصف ساقياها وفعلها وشاربها قصيدته التي مطلعها: <sup>(١)</sup>

ما هاج حسان رسومُ المقام  
ومظعن الحيّ ومبنى الخيام <sup>(٢)</sup>  
والنؤي قد هدم أعضاده  
تقادم العهد بواد تهام <sup>(٣)</sup>  
قد أدرك الواشون ما حاولوا  
فالحبل من شعشاء رث الرّمام <sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٢) المظعن: مكان الرحيل.

(٣) النؤي: الحفير حول الخيام.

(٤) الرّمام: جمع رمّة وهي القطعة من الحبل.



جَنِيَّةٌ أَرْقَمْنِي طَيْفُهَا  
 تذهب صباحاً وتُرى في المنام<sup>(١)</sup>  
 هل هي إلّا ظبيةً مَظْفُلٌ  
 مألُفها السّدر بنعفي برام<sup>(٢)</sup>  
 تزجي غزلاً فاتراً طرفه  
 مقارب الخطو ضعيف البغام<sup>(٣)</sup>  
 كأنّ فاهها ثُغْبٌ باردٌ  
 في رصفٍ تحتَ ظلال الغمام<sup>(٤)</sup>  
 شجّت بصهباء لها سورةٌ  
 من بيت رأسٍ عتّقت في الخيام<sup>(٥)</sup>  
 عتّقها الحانوت دهرأ فقد  
 مرّ عليها فرطُ عام، فعام<sup>(٦)</sup>  
 نشربها صرفاً وممزوجةً  
 ثمّ نغني في بيوت الرّخام<sup>(٧)</sup>

(١) أَرْقَى: منع عنه الرّقاد.

(٢) المَظْفُل: ذات الأولاد، والسّدر: شجر النبق أو النعف: الجانب، وبران: اسم وادٍ.

(٣) تزجي: تسوق، والبغام: صوت الظبي.

(٤) الثُغْب: الغدير بين الظلال، والرّصف: الحجارة المترصّفة.

(٥) شجّت: مزجت، والصهباء: الخمر، والسّورة: الغضب والحدة، وبيت رأس: مكان.

(٦) الحانوت: بائع الخمر، والفرط: الحين.

(٧) الصرف: الخالصة، وبيوت الرّخام: أي القصور.

تدبُّ في الجسم دبيباً كما  
دَبَّ وسط رقاقِ هيام<sup>(١)</sup>  
كأساً إذا ما الشيخ والى بها  
خمساً تردّي برداء الغلام  
من خمر بيان تخيرتها  
درياقة تورث فتر العظام<sup>(٢)</sup>  
يسعى بها أحمرٌ ذو برنسٍ  
مختلف الذفري شديد الحزام<sup>(٣)</sup>  
أروع للدعوة مستعجلٌ  
لم يشنه الشان خفيف القيام<sup>(٤)</sup>

في هذه القصيدة التي حاولنا أن نثبت أكثر أبياتها  
لنقف على وصفه الجميل الذي تقاسمه الغزل والخمر،  
وهما في رأينا وسيلة المتعة ومظهر التلذذ والنشوة، فقد  
أحسن حسنًا في غزله، كما أحسن في وصفه للخمر، فإذا  
هو في وصفه لشعثاء حبيبته التي لا تفارق عينيه في منام  
ويقظة، وهذا دليلٌ على حبٍّ أكيد، وتعلّق بها وطيد، يرى

(١) الدّبيب: صفار النمل، والرقاق: الرمل المستوي اللين.

(٢) الترياق: دواء ضدّ السّموم، والفتر: الضعف الإنكسار.

(٣) الأحمر: أراد به غلاماً غير عربي، ومختلق: مطلي بالخلق،

والذفري: العظم الشاخص خلف الأذن

(٤) أروع: مستعد وجاهز للخدمة.

أَنَّ شعْثاءَ كجَنَّةٍ جميلة تراود خياله في كلِّ أنسٍ، وتتمثَّل له  
 في كلِّ صفوٍ وسعادةٍ وأُنَى له أن ينسى جمالها وهي مثل  
 الغزال المطفل الذي يحنو عليه كما تحنو المطفل على  
 أولادها وتسهر على راحته وهنائه، إنَّها ولا شك مبعثُ  
 لسعادته، وظلٌّ وارفٌ يلتجئ إلى فيئه، وشرابٌ منعش  
 يكسره حدةَ ظمئه، لقد أجاد حسان في وصف شعْثاء وفي  
 المزج بين صورتها الجميلة وآثارها الحلوة وفعلها المؤثر في  
 النفس والذي يثير النشوة كما تثيرها الخمر في الشاربين،  
 فهذا المزج بين صورة المرأة وبين صورة الخمر وهذا  
 الانتقال الجميل من مشهدٍ إلى مشهدٍ ومن صورة إلى صورة  
 واستخدام الطبيعة في سبيل ذلك الانتقال أضفى على هذه  
 القصيدة نوعاً من الانسجام والتوحد الذي يمكن لنا أن نستمد  
 أسبابه من صدق المشاعر التي تبدو جليلة ظاهرة في حبِّ  
 حسان لما يرى فيه سعادةً وأنساً ومتعةً وحياةً، «وحسبك من  
 دقة تصويره لأثر الخمر والإحساس بدبيبها في الجسم أنه  
 يتمثله بسريان النمل في الدقيق الناعم من الرمال، وكأنها  
 بما تحدثه في الشاربين من نشوة وبما تمدِّهم به من سورة،  
 قادرة على أن تردَّ الشيخ الفاني غلاماً فتياً» وإنك لترى في  
 أوصاف حسان أثر البيئة الشامية واضحاً في جمال تشبيهاته  
 وإبداعه في تصوير الخمر وتصوير أثرها وساقِها، وذكره  
 لأماكن احتسائها في القصور وبين مواطن الجمال.

ولن نقتصر في الحديث على الوصف عند حسان على ذكر المرأة والخمر، لأن حسان كغيره من الشعراء الجاهليين الذين وصفوا في أشعارهم كلَّ معالم بيئتهم، فقد ذكر حسان في شعره الناقة والحصان والبرق والمطر والصَّيد والليل ورسوم المنازل ولم يترك معلماً من معالم بيئته إلا وقال فيه شعراً، ولكننا هنا سنكتفي بذكر ما أبدع فيه، ويطيب لنا أن نختم وصفه بالاستماع إلى ما قاله في وصف البرق والسحاب والمطر يقول حسان: (١)

ألم تسأل الربع الجديد التكلما  
بمدفع أشداخٍ فبرقةٍ أظلما (٢)  
أبى رسمُ دار الحي أن يتكلما  
وهل ينطق المعروف من كان أبكما

إلى أن يقول:

أقامت به بالصيف حتى بدا لها  
نشاؤُ إذا هبَّت له الرِّيحُ أرزما (٣)  
فلما دنت أعضاؤه ودنا له  
من أرضٍ دانٍ جوزُهُ فتحمحمما (٤)

(١) ديوانه ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢) المدفع: مجرى السيل.

(٣) النشاؤ: السحاب، وأرزم: أُرعد.

(٤) أعضاؤه: نواحيه، وجوزة: وسطه، وتحمحم: صوت رعله.

تحن مطافيل الرباع خلاله  
 إذا استنّ في حافاته البرق أسجماً<sup>(١)</sup>  
 وكاد بأكناف العقيق وثيده<sup>(٢)</sup>  
 يحطّ من الجماء ركناً ململماً<sup>(٣)</sup>  
 فلما علا تُربان فانهل ودقّه<sup>(٤)</sup>  
 تداعى وألقى بركه وتهزّماً<sup>(٥)</sup>  
 وأصبح منه كلّ مدفع تلعة<sup>(٦)</sup>  
 يكبّ العضاء سيله ما تصرّماً<sup>(٧)</sup>  
 تنادوا بليلٍ فاستقلت حملهم  
 وعالين أنماط الدّرقل المرقّماً<sup>(٨)</sup>  
 عسجن بأعناق الظباء وأبرزت  
 حواشي برود القطر وشياً منمنماً<sup>(٩)</sup>  
 ففي هذه الأبيات يذكر حسان البرق والغيم والمطر،  
 بأوصاف ترى لها مثيلاً عند امرئ القيس وعبيد بن

- 
- (١) المطافيل: الإبل المطفلة، واستنّ: عدا، وأسجم: سال.  
 (٢) العقيق: وادٍ بالمدينة، وثيده: صوته، والرّكن: الجانب، والململم: المجموع.  
 (٣) الودق: المطر، تداعى: برق ورعد من كلّ جانب، وتهزّم: تشقق بالماء.  
 (٤) التلعة: سيل الماء، والعضاء: شجر، وتصرّم: انقطع.  
 (٥) الأنماط: الثياب المصبغة، والدّرقل: ضربٌ من الثياب، المرقّم: الموشى.  
 (٦) عسجن: مددن، والقطر: ثياب اليمن.

الأبرص، فهو هنا يتابع السحاب الذي تراكم بعد انقضاء الصيف فوق أماكن حددها ويذكر كيف أغدق السحاب المطر وصبّه صبّاً في تلك النواحي بعد أن دنا من الأرض وصوت الرعد، وأثار البرق الظلمات، فإذا بالسيول المنبثقة عن انصبابه تحمل في طريقها الأشجار فتقتلعها من جذورها، ولكثرة ذلك المطر وانصبابه الشديد تحوّل عن أماكن وقوعه من كان يقيم فيها هرباً من الأذى والضّرر، وقد خلّف ذلك المطر في الأرض بعد انصبابه بروداً منمنمة بما أنبت فيها من عشب ونبات، تلك هي أهم الموضوعات التي عرض لها حسان في أشعاره وإن كنا لم نذكر غزله وراثاءه، فذلك لأن الغزل في أشعاره جاء متفرّقاً، ولا تخلو منه قصيدة لأنّه على عادة الشعراء الجاهليين كان يستهل به قصائده ومن ثم ينتقل بعد ذلك إلى موضوعات متعدّدة فنون أخرى، أمّا الرثاء فقد كان قليلاً في شعره، ولكننا سوف نشير إليه في حديثنا التالي على شعره الإسلامي.

## شعره الإسلامي

حَسَنان من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام، ولقد كانت الفترة التي عاصر حَسَنان فيه الإسلام كبيرة إلى حدّ جعلت شعره في الفترة الإسلامية غزيراً ووفيراً فلقد أكثر حسان من الشعر في هذه الفترة التي كان فيها منافحاً عن الإسلام والرسول ضدّ الكثير من الشعراء الذين تناولوهما بالنقد والتجريح، ولما قُبض الرسول قلّ شعر حسان ربّما بسبب الأحداث الإسلامية، ولكنّ الفترة التي قضاها في معاصرة الرسول كانت فترة غنية بالنظم، فقد بلغ شعره فيها أضعاف ما قاله في الجاهلية منه، ويبدو أن هذه الكثرة كانت بدافع الذود عن الإسلام ونصرة من حسان له حيث لم يكن بمقدوره أن ينصره بيده لطبيعته التي تخاف الحروب والمواجهات فنصره بلسانه فصوّر في أشعاره معارك المسلمين وانتصاراتهم ورثى قتلهم وردّ على الأعداء بكلّ ما أوتي من شاعرية خصية، وقد تناول في شعره الإسلامي مختلف الفنون الشعرية السابقة، فافتخر ومدح ورثى وهجا وتغزّل إلى غير ذلك إلّا أنه في شعر هذه الفترة حاول قدر الاستطاعة أن يتمثل الروح الإسلامية الجديدة فيذكر قيمها

وتعاليمها، ومع ذلك كله فإن القارىء لشعره في هذه الفترة يدرك أن تأثر حسن بالإسلام كان ضعيفاً نظراً لأن شعره كان ينظم ردّاً على المشركين، وهذا الرد يستوجب أن يتضمن نفس المعاني الجاهلية التي يمكن بوساطتها أن تنال منهم ولذلك كان الرد على سبيل المعارضة والنقض لما جاء في قصائدهم وتضمن ذكرًا للمواقع والآيات والاحساب كما تضمن قيمة جاهلية حاول حسن في شعره أن ينتقص بذكرها من قدر المهجو وإيذائه، وهذا هو الرد السليم على الشعراء الجاهليين لأنه لو نعتهم بعدم الإيمان بالله ورسوله لما أثر ذلك فيهم. لأنهم فعلاً لا يؤمنون بهما، ولذلك ركز حسن على ما كان بإمكانه أن يؤذي الخصوم وينال منهم، ولذا فإن شعره لم يكن بعد إسلام هؤلاء القوم بمصدر إزعاج لهم لأنه تناول أشياء نبذوها وكان شعر عبد الله بن رواحة هو الشعر الذي أذاهم لأنه نعتهم بالكفر وعدم تصديق الرسالة الإلهية.

ولكي نقف على حقيقة شعره الإسلامي فلا بد لنا في هذا المجال من أن نذكر بعض قصائده التي قالها في أغراض متنوعة حتى نقف على هذه الحقيقة ونستجلي من الشعر مدى تأثر حسن بالإسلام، فلنستمع معاً إلى قصيدته التي مطلعها: (١)

---

(١) ديوانه ص ٢٠٧ - ٢١٠ .



لك الخير غُضِي اللوم عني فإتني  
 أحب من الأخلاق ما كان أجملًا  
 فإن كنت لا مَنِي ولا من خليقتي  
 فمَنك الذي أَمسى عن الخير أغرلا  
 ألم تعلمي أَنِّي أرى البخل سُبَّةً  
 وأَبْقَضَ ذا اللونين وَالْمَتَنَقِّلَا<sup>(١)</sup>  
 إذا انصرفت نفسي عن الشيء مرَّةً  
 فليست إليه آخر الدهر مقبلا  
 حيث يقول بعد ذلك:  
 وإنا لقوم ما نسود غادراً  
 ولا ناكلأ عند الحمالة زُملاً<sup>(٢)</sup>  
 ولا مانعاً للمال فيما ينوبه  
 ولا عاجزاً في الحرب جيشاً مغفلاً<sup>(٣)</sup>  
 نسود منا كلَّ أشيب بارع  
 أغرَّ تراه بالجلال مكللاً  
 إذا ما انتدى أجنى الندى وابتنى العلا  
 وألفي ذا طولٍ على من تطولا<sup>(٤)</sup>

(١) السُّبَّة: العار.

(٢) الناكل: الناقص الجبان، والزَّمْل: الضعيف الخائف.

(٣) الجبس: الثقل الذي لا يجيب إلى الخير.

(٤) انتلى: جلس في النادي، وأجنى: أعطى، وذو الطول: أي ذو القوة.

تطبع فعال الشيخ منا إذا سما  
لأمرٍ ولا نعيًا إذا الأمر أعضلا<sup>(١)</sup>  
له أربةٌ في حزمه وفعاله  
وإن كان منا حازم الرأي حولا<sup>(٢)</sup>  
وما ذاك إلّا أننا جعلت لنا  
أكابرنا في أول الخير أولًا  
فنحن الذرى من نسل آدم والعرى  
تربّع فينا المجد حتى تأثلا<sup>(٣)</sup>  
بنى العزّ بيتاً فاستقرّت عمادُهُ  
علينا فأعيانا الناس أن يتحولوا  
وإنك لن تلقى من الناس معشراً  
أعزّ من الأنصار عزّاً وأفضلاً  
وأكثر أن تلقى إذا ما أتيتهم  
لهم سيّداً ضخماً الدسيعة جحفلا<sup>(٤)</sup>  
وعدّاً خطيباً لا يطاق جوابه  
وذا أربةٍ في شعره متنخلاً<sup>(٥)</sup>

---

(١) أعضل الأمر: اشتدّ.  
(٢) الأربة: الدهاء، والحوّل: الحسن التصرف في الأمور.  
(٣) العرى: الواحدة: ما له من دق الشجر أصل باق في الأرض.  
(٤) الدسيعة: المائدة، والجحفل: السيّد العظيم القدر.  
(٥) العدّ: الماء المتدفّق، وذو أربة: ذو شدة، والمتنخل: المتخير.

واصين نهاضاً إلى السيف صارماً  
 إذا ما دعا داع إلى الموت أرقلاً<sup>(١)</sup>  
 لنا حرّة مأطورةً بجبالها  
 بنى المجد فيها بيته فتأهلاً<sup>(٢)</sup>  
 جعلنا لها أسيافنا ورماحنا  
 من الجيش والاعراب كهفاً ومعقلاً  
 إذا جمعوا جمعاً سمونا إليهم  
 بهنديّة تُسقى الزّعاف المثللاً<sup>(٣)</sup>  
 نصرنا بها خير البريّة كلّها  
 إماماً ووقّرنا الكتاب المنزلاً<sup>(٤)</sup>  
 نصرنا وآوينا وقومٌ ضربنا  
 له بالسيف ميل من كان أميلاً  
 فمن يأتنا أو يلقنا عن جناية  
 يجد عندنا مثوىً كريماً وموثلاً  
 نجير فلا يخشى البوادر جارناً  
 ولاقى الغنى في دارنا متمولاً  
 إن قراءة لهذه الأبيات، فيها بعض التأني، تجعلنا

---

(١) والاصين: الذي يرفع رأسه كبراً، وأرقل: أسرع.  
 (٢) الحرّة: أراد بها أرضاً في المدينة حجارته سود، والمأطورة: المحاطة.  
 (٣) الزّعاف: السمّ القاتل، والمثلّ: المقوى بمادة تسعفه على القتل.  
 (٤) خير البريّة: أراد الرسول عليه الصلاة والسلام.

ندرك تماماً أن حسان لم يخرج في شعره بُعيد الإسلام عن النمط الجاهلي، فهو في كل الأشياء التي ذكرها يبدو شاعراً جاهلي النزعة، ومع أننا حاولنا أن نختار من تلك القصيدة بعض الأبيات إلا أن اختيارنا ظل يتناول رغباً عنا مثل ذلك الشعر الذي يفخر فيه بنفسه ومن ثمّ ينتقل إلى الفخر بقومه فيغدق عليهم كلّ النعوت الجاهلية فهم السادة أهل العزّ والشرف والمجد المؤثل، وهم أهل الحرب والشجاعة والانتصارات أو هم أهل الرياسة والسيادة والكرم العطاء، وهم الذين يبذلون الدماء دفاعاً عن الحسب والشرف والأعراض والديار، وهم الذين يجيرون ويقرون ويحسنون إلى من طلب الرغد والإحسان، إنّ كل ذلك فخر جاهلي واعتدادٌ قبلي، ولولا إirاده لهذين البيتين اللذين ذكر بهما نصر قومه للرسول لخلت قصيدته من كلّ مضمون إسلامي، وحتى أن هذين البيتين اللذين يقول فيهما:

نصرنا بها خير البرية كلّها  
 إماماً ووقرنا الكتاب المنزلاً  
 نصرنا وآوينا وقوم ضربنا  
 له بالسيف ميل من كان أميلاً

فإننا لا نجد فيهما الروح الإسلامية الصافية التي تمثل التعاليم الإسلامية لأنهما لم يخرجاً عن الإفصاح عن معاني

فيها من الجاهلية قبس، ولم يعدو النصر والتوفير والدفاع،  
وكأن الشاعر فيهما يحاول أن يتمجد بسيد من سادات قومه  
لا بنبيٍّ وكتاب كان لهما الأثر الكبير في تغيير مسار الحياة  
وتقدم الإنسانية.

إنَّ حَسَّانَ كما قلت لم يتمثل الروح الإسلامية ولا  
ذلك التغيير في البناء القائم للمجتمع ذلك التغيير الذي نقل  
العرب من الجهالة والبداءة والضلالة، إلى مستوى الأمم  
الراقية التي أنارت للحق طريقاً وأشعلت للهداية مناراً.

وإذا حاولنا أن نتبع حَسَّانَ في أغراضه الشعرية بعد  
الإسلام فإننا كما قلنا سوف نجده يركز في أكثرها على  
المعاني الجاهلية التي لم يستطع أن يتحول عنها لأسبابٍ  
نعتقد أن الردَّ على المشركين بما يؤلمهم ويؤذيهم كان من  
أهمها، ولنستمع إلى حَسَّانَ في هجائه للحارث بن هشام  
المخزومي حيث يقول: (١)

تبلت فؤادك في المنام خريدة

تسقي الضجيع بياردٍ بَسَامٍ (٢)

كالمسك تخلطه بماء سحابةٍ

أو عاتقٍ كدم الذبيح مدام (٣)

---

(١) ديوانه ص ٢١٤ - ٢١٦ .

(٢) تبلت: أسقمت، والخريدة: الحبيبة الساكنة.

(٣) العاتق: الخمر.

نُفِجَ الحَقِيَّةُ يَوْصُهَا مَتَنُضْدُ  
 بلهاء غير وشيكة الأقسام<sup>(١)</sup>  
 بُنِيتَ عَلَى قَطْنٍ أَجَمٍّ كَأَنَّهُ  
 فَضْلًا إِذَا قَعَدْتَ مَدَاكَ رِخَامَ<sup>(٢)</sup>  
 وَتَكَادَ تَكْسِلُ أَنْ تَجِيءَ فِرَاشُهَا  
 فِي لَيْلٍ خَرَعِيَّةٍ وَحَسَنٍ قَوَامِ<sup>(٣)</sup>  
 أَمَّا النَّهَارُ فَلَا أَفْتَرَ أَذْكَرُهَا  
 وَاللَّيْلُ تَوَزَعَنِي بِهَا أَحْلَامِي<sup>(٤)</sup>  
 أَقْسَمْتُ أَنْسَاهَا وَأَتْرَكَ ذِكْرُهَا  
 حَتَّى تَغَيَّبَ فِي الضَّرِيحِ عِظَامِي<sup>(٥)</sup>  
 يَا مَنْ لِعَاذِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةً  
 وَلَقَدْ عَصَيْتَ إِلَى الْهَوَى لَوَامِي  
 زَعَمْتَ بِأَنَّ الْمَرْءَ يَكْرُبُ يَوْمَهُ  
 عُذْمٌ لِمَعْتَكِرٍ مِنَ الْأَصْرَامِ<sup>(٦)</sup>

---

(١) النُفِجَ: المرتفعة، واليُوصُ: الرَّدْفُ، والبلهاء: العفيفة.  
 (٢) القطن: ما بين الوركين، وأَجَمٌ: مكتر اللحم، والمداك: حجر يسحق عليه الطيب.  
 (٣) الخَرَعِيَّةُ: اللينة.  
 (٤) تَوَزَعَنِي: تولعني.  
 (٥) أي أقسمت لا أنساها، فقد حذف لا النافية بعد القسم.  
 (٦) يكربه: يحزنه، والمعتكر: المال الكثير، والأصرام: جمع صرمة وهي القطعة من الإبل.

إن كنت كاذبة الذي حدّثني  
 فنجوت منجى الحارث بن هشام  
 ترك الأجبّة أن يقاتل دونهم  
 ونجا برأس طرّة ولجام<sup>(١)</sup>  
 جرواء تمزّع في الغبار كأنها  
 سرحان غاب في ظلال غمام<sup>(٢)</sup>  
 ملأت به الفرجين فارتدت به  
 وثوى أحبته بشرّ مقام<sup>(٣)</sup>  
 وبنو أبيه ورهطه في معرك  
 نصر الإله به ذوي الإسلام  
 لولا الإله وجريها لتركته  
 جزر السباع ودسنه بحوامي<sup>(٤)</sup>  
 طحنتهم والله ينفذ أمره  
 حرب يشب سعيها بضرام  
 من كلّ مأسور يشد صفاده  
 صقر إذا لاقى الكتيبة حامي<sup>(٥)</sup>

(١) الطمّة: الفرس الوثابة.

(٢) الجرواء: التي تنفّس في جريها، وتمزّع: تثب.

(٣) ملأت به الفرجين: أي اشتدّت به عدوّ، وأرمدت: أسرع.

(٤) جزر السباع: أي مأكلا للسباع، والحوامي: الحوافر.

(٥) الصفاد: القيد.

فسلحت إنك من معاشر خانية  
سُلح إذا حضر القتال لثام<sup>(١)</sup>  
فدع المكارم إن قومك أسرة  
من ولد شجع غيرُ جدِّ كرام  
من صُلب خنْدِفِ ماجِدِ أعراقه  
نجلت به بيضاء ذات تمام<sup>(٢)</sup>  
ومرنَح فيه الأسنة شرَّعاً  
كالجفر غير مقابل الأعمام<sup>(٣)</sup>

ففي هذه القصيدة التي يبدوها حسان متغزلاً في شعر رقيق  
نلمح فيه ميل حسان إلى اللهو وحنينه إلى أيام الصبا والعشق  
نجدّه يتعرّض للحارث المخزومي بما يشينه، فيعيّره بالجبن  
والفرار من ساحة المعركة تاركاً قومه تنالهم سيوف المسلمين  
فتقتل منهم من تقتل، وتحيط بمن بقي في أرض المعركة  
فيقعون أسارى في أيدي المسلمين، وحسان رغم هجائه  
للحارث والنيل من صفاته الأخلاقية التي سلبت كل كرامة  
وفضل فإنك تراه لم يَضَنَّ على قومه ببعض الانصاف فيصف  
أحدهم كالصقر عند اللقاء، ومع ذلك كلّهُ فإن حسان في  
هجائه يركّز على ما ركّز عليه الجاهليون في هجائهم إذ هو

(١) سلحت: أي من الجبن والخوف.

(٢) البيضاء: النقية العرض.

(٣) المرنَح: المتمايل من الشراب، والجفر: الجلي إذا استكرس.



يحاول أن يسلب المهجو كلّ كرامة و يحطّ من قدره بكافة الصفات والنعوت ، ولم يحاول مثلاً أن ينعتهم بالكفر وعدم تصديق الدعوة ، بل أراد في شعره أن يؤلمهم وينال منهم بالأشياء التي يرون فيها انتقاصاً لمكانتهم وقدرهم ، وهكذا كان حسان في كلّ هجائه يحاول أن يركّز على ما فيه تجريحٌ بالخصم وتقرّيعٌ مذلّ له ، يقول في هجاء المغيرة بن شعبة الثقيفي: (١)

لَوْ أَنَّ اللُّؤْمَ يُنْسَبُ كَانَ عَبْدًا  
قَبِيحَ الْوَجْهِ أَعْوَرَ مِنْ ثَقِيفٍ  
تَرَكْتَ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ جَهْلًا

غداة لقيت صاحبة النّصيف (٢)  
وراجعت الصّبا وذكرت لهواً  
من الأحشاء والخصر اللطيف

فهو هنا يحاول أن ينال منه بنسبة اللؤم إليه وإلى قومه ثم ينتقص منه أيضاً فيصوّره إنساناً ناقص العقل يدع الإيمان والفضل ، ويركن إلى الشهوات والمتع البهيمية الزائلة .

ونمضي مع حسان في شعره الاسلامي حتى نتبين ما ترك الاسلام فيه فنصل إلى مدحه حيث نجد حسان يمدح

---

(١) ديوانه ص ١٦١ .

(٢) النصيف: ثوبٌ تلقه المرأة على رأسها .

الرسول وأصحابه بما لا يختلف في مضمونه كثيراً عن  
مضمون المدح في الجاهلية يقول حسان: (١).

مستشعري حلق الماذي بقدّمهم

جلد النحيظة ماضٍ غير رعيد (٢)

أعني الرسول فإن الله فضله

على البرية بالتقوى وبالجود

مستعصمين بحبلٍ غير منجذم

مستحكمٍ من حبال الله ممدود (٣)

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه

حتى الممات ونصر غير محدود

ماضٍ على الهول، ركباً لما قطعوا

إذا الكمأة تحاموا في الصناديد (٤)

وافٍ وماضٍ، شهابٌ يستضاء به

بدرٌ أنار على كلّ الأماجيد (٥)

مباركٌ كضياء البدر صدرته

ما قال كان قضاء غير مردود

---

(١) ديوانه ص ٤٨ .

(٢) مستشعري: لابس، والماضي: الدروع، والرعيد: الجبان.

(٣) منجذم: منقطع.

(٤) ماضٍ على الهول: أي لا يعرف الخوف.

(٥) الأماجيد: الأشراف.

فهو في هذه الايات يشبه الرسول بالشهاب والبدر وبأنه  
النور الذي يهتدي به الضالون ورسالته الحق، وأصحابه  
الابطال الصناديد الذين وهبوا أنفسهم في سبيل الدفاع عن  
الدين وصاحب الدعوة، فهم سمّاعون لكلامه، وكلامه  
الفصل الذي لا كلام بعده، فحسّان كما نرى يركّز على  
الفضائل النفسية والخلال الحميدة التي كان العرب يركّزون  
عليها مضيفاً إلى ذلك ما استجدّ على هذه الفضائل والسجايا  
من معاني جديدة أوجدها الاسلام، ولكنها معاني سطحية لم  
تستطع أن تتعمق المعاني الاسلامية التي كان لها قدرة التغيير  
وبعث الفجر الانساني الجديد، ونمضي مع حسان  
مستشعرين معانيه الاسلامية في شعره بعد الاسلام فنقف مع  
قصيدته التي يرثي فيها الرسول محاولين أن نظهر ما أمكن من  
تأثره الاسلامي، لأن في الرثاء الصادق تظهر المرارة والألم،  
ويظهر التأثير البالغ الذي لا يقتصر على افتقاد الانسان بل على  
افتقاد كلّ ما يمثله وخاصة إذا كان الانسان مثلاً كاملاً ونوراً  
وهداية، كالرسول الكريم محمد عليه أفضل الصلاة  
والسلام، يقول حسان: (١)

بطيية رسمٌ للرسول ومعهدٌ

منيرٌ وقد تعفو الرسوم وتهمد

---

(١) ديوانه ص ٥٤ - ٥٧ .

ولا تنمحي الآيات من دار حرمةٍ  
بها منبرُ الهادي الذي كان يصعد  
وواضح آياتٍ وباقي معالمٍ  
وربّع له فيه مصلى ومسجد  
بها حجراتُ كان ينزل وسطها  
من الله نورٌ يستضاء ويوقد  
معالمُ لم تطمس على العهد أيها  
آثارها البلى فالآي منها تجدد  
عرفت بها رسم الرسول وعهده  
وقبراً به واره في التُرب ملحد  
ظلمت بها أبكي الرسول فأسعدتُ  
عيونٌ ومثلاها من الجفن تسعد<sup>(١)</sup>  
تذكر آلاء الرسول وما أرى  
لها محصياً نفسي فنفسى تبدل  
مفجعةً قد شفها فقد أحمد  
فظلت لآلاء الرسول تعدد  
لقد غُيبوا حلماً وعلماً ورحمةً  
عشيّة علوه الثرى لا يوسد  
وراحوا بحزنٍ ليس فيهم نبّيهم  
وقد وهنت منهم ظهورٌ وأعضد

(١) أسعدت: أعانت وأسفت.

سيكون من تبكي السموات يومه  
 ومن قد بكته الأرض فالناس أكمَد  
 وهل عدلت يوماً رزية هالكٍ  
 رزية يوم مات فيه محمد  
 وما فقد الماضون مثل محمد  
 ولا مثله حتى القيامة يفقد  
 أعف وأوفى ذمة بعد ذمة  
 وأقرب منه نائلاً لا ينكد<sup>(١)</sup>  
 وأبذل منه للطريف وتاليد  
 إذا ضنّ معطاء بما كان يُتلد<sup>(٢)</sup>  
 وأكرم حياً في البيوت إذا انتمى  
 وأكرم جدّاً أبطحياً يسود<sup>(٣)</sup>  
 وأمنع ذرواً وأثبت في العلى  
 دعائم عز شاهقات تشيد  
 في هذه القصيدة التي تعتبر من خير ما رثي به حسان  
 أحداً من الناس، إذ أننا نراها تحمل في مضمونها كثيراً من  
 المعاني الإسلامية كما تحمل صدق العاطفة وتأثر المشاعر  
 وعظيم النكبة.

(١) النائل: العطاء، وينكد: يكثر.

(٢) الطريف: المحدث من المال، والتلید: القديم منه.

(٣) الأبطحي: نسبة إلى الأبطح بمكة ونزله أكرم قریش.

يبدأ حَسَّان قصيدته بذكر طيبة مدينة الرسول ومقرَّ  
 جسده الشريف فيرى فيها الآيات المنيرة والمعالم الهادية  
 والاماكن المضئية التي كانت للوحي موطنًا، وللرسالة مبعثًا  
 وللأنوار متنزلاً، إنها أماكن ومعالم لا يمكن أن يطاولها البلاء  
 أو يحلَّ بها الفناء، لأنها أماكن الدعوة الخالدة المتجددة،  
 الدعوة المباركة التي أراد الله لها أن تخلد وتنتشر ويعمَّ نورها  
 كلَّ الأرجاء ولو كره المشركون والملحدون والمنافقون، ففي  
 تلك البقعة المباركة من الأرض وقف حَسَّان يستمطر الدموع  
 لوعةً وحزنًا فقد خير البرية، ويطلب من عينيه أن تسعفاه على  
 الدموع التي تخفَّف من بثِّه وشكواه، فهو قد فقد في فقد  
 الرسول العظيم الحبيب والهادي والموجه والمرشد والعُضد  
 والساعد، فقد كما فقد كلَّ المسلمين القائد والبشير والنبيَّ  
 المنير، إنه يومٌ لا يعدله أيُّ يوم، ورزيةٌ لا تعدلها رزيةٌ مهما  
 عظمت، فليس كفقْد الرسول فقد ما دامت الأرض والسماء،  
 إنه فقد للنور والهداية وفقد للمكارم والمآثر والفضائل  
 والمحامد، إنه فقد للعلی والعز والذروات إنَّ فقد الرسول  
 فاجعة ليس كمثليها، ورزءٌ تهون معه كل المصائب والأرزاء،  
 لقد كان حَسَّان في رثائه هذا صادقاً ولكنه ظلَّ فيه يركز على  
 الجوانب التي ركَّز عليها الشعراء آنذاك في رثائهم رغم أنه  
 حاول أن يستمدَّ من مضمون الدعوة الإسلامية ما يسعفه على  
 إظهار حزنه ويمدِّه على تصوير عظيم مأساته وتأثره إلا أنه ظلَّ

في إطار الدعوة السطحي ، ولم يستطع أن يتعد أو يغوص في  
الجوهر ويستل من الأعماق المؤثرة ما يزيّن به رثاءه ويصوّر  
عظيم فاجعته وأساه.

وهكذا نجد حسان حتى في شعره الاسلامي لم يفارق  
النهج الجاهلي الذي سلكه غيره من الشعراء ، ولم يستطع أن  
يكون المجدّد المستفيد من رحاب الدعوة المباركة ليسرح في  
رحاب الشعر الانساني الذي تمثله تلك الدعوة.

## الحكمة والمثل

حَسَنَ كغيره من الشعراء الذين نظروا في الحياة نظرة متأملّة وتطلّعوا إليها بعين المتفحّص، فاستفاد من تجارب الحياة وتأدّب بآداب الاسلام وأخلاقه، فكان له من كلّ ذلك زاداً وافراً ومعيناً ثراً زَيْنَ به شعره وحملَه كثيراً من الحكم والنصائح والارشادات فمن أقواله التي جرت على الألسن، وحملت أفانين الحكمة البالغة قوله: <sup>(١)</sup>

رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ  
وَجَهْلٍ غَطَى عَلَيْهِ النِّعَمِ  
مَا أَبَالِي أَنْبَ بِالْحَزَنِ تَيْسُ

أَمْ لِحَانِي بظَهَرِ غَيْبٍ لثِيمٍ <sup>(٢)</sup>

فحَسَنَ يسخر من الزمن الذي يصبح المال فيه قادراً على أن يرفع ويضع، فيبخس من أولي الحلم علمهم وفضلهم وقدرهم، ويغطي بما له من سلطة ونفوذ على جهل الجهلاء فيرفع من شأنهم ويحلّهم المكان والقدر الذي هم ليسوا فيه.

---

(١) ديوانه ص ٢٢٥ .

(٢) نَبْ: صاح، والحزن: ما غلظ من الأرض، ولحاني: لامني.



وحسّان يقف من المال موقفاً رائعاً بحيث لا يجعل  
المال يتحكّم به أسوة بالجهلة وإنما المال عنده وسيلة يوظّفها  
في سبيل الوصول إلى الغايات المثلى يقول حسان: (١).  
وأجعل مالي دون عرضي وقايةً

وأحجبه كي لا يطيب لأكل  
وأنيّ جديدٍ ليس يدركه البلى

وأي نعيمٍ ليس يوماً بزائل  
فهو هنا، يجعل من ماله وقايةً لعرضه وصوناً لشرفه،  
وينزّهه عن الغاية التي وجد من أجلها، إنّه يتحكّم بالمال  
ويوظفه في سبيل الخير لأن كلّ شيء صائر إلى البلاء، ويبقى  
من الانسان الذكر الحسن والفعل الجميل ولحسان أشعارُ  
جرت مجرى المثل فمن ذلك قوله: (٢)

لا عيب بالقوم من طولٍ ولا عظمٍ  
جسم البغال وأحلام العصافير  
لا ينفع الطول من نوك القلوب ولا

يهدي الآله سبيل المعشر البور (٣)

فالإنسان في رأي حسان ليس جسماً ولحماً، طويلاً  
وقامة مديدة، وإنما هو بالعقل والفعال، وهل يحمل الشرف

---

(١) ديوانه ص ١٨٤ .

(٢) ديوانه ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٣) النوك: الحمق.

والسَّيادة إلَّا الرجل الذي أوتي من العقل حظاً وافراً ومن  
الرأي سداداً وحكمة وبعد نظر، فالإنسان بعقله القادر على أن  
يهتدي به إلى طريق الخير والرشاد، ويفتح الله له به كل هداية  
وصواب.

ومن شعره الذي يذهب فيه مذهب النصح ويضرب به  
الأمثال قوله: (١)

فإننا ومن يُهدي القصائد نحونا  
كمستبضع تمرأى إلى أهل خير<sup>(٢)</sup>  
فلا تك كالوسنان يحلم أنه  
بقرية كسرى أو بقريّة قيصر  
ولا تك كالشاة التي كان حتفها  
بحفر ذراعيها فلم ترض محفراً  
ولا تك كالعاوي فأقبل نحره<sup>(٣)</sup>  
ولم يخشهُ سهماً من النبل مضمراً<sup>(٤)</sup>  
أتفخر بالكّتان لمّا لبسته  
وقد تلبسُ الأنباط ريطاً مقصّراً<sup>(٥)</sup>

---

(١) ديوانه: ص ١٠٩ .

(٢) المستبضع: جالب البضاعة.

(٣) أقبل نحره: عرض له للسهام.

(٤) الأنباط: جيل من الناس كان يسكن سواد العراق، والشريط: الثياب

الرفيعة، والمقصر: المحور.

فحسّان ينصح الانسان في التفكير في أي فعلٍ يفعله أو يقدم عليه لأن كثيراً من الأفعال التي تحمل التهور والجهل تقود الإنسان إلى حتفه أو إلى أن يلاقي ضرورياً من الخسارة والندم.

وأخيراً ننهي حديثنا الموجز عن الحكمة والمثل في شعر حسان بأبيات تظهر لنا بعضاً من أخلاقه ومزايه يقول حسان: (١)

لك الخيرُ غَضِي اللوم عَنِّي فإِنِّي  
أحبُّ من الأخلاق ما كان أجملًا  
ألم تعلمي أَنِّي أرى البخل سبَّةً  
وأبغض ذا اللونين والمتنقلا  
إذا انصرفت نفسي عن الشيء مرَّةً  
فلمست إليه آخر الدهر مقبلا  
فحسان هنا يذكر بأن الرجل الرجل هو الذي يقف عند رأيه ومعتقده في الحياة، وهو لا يحب أن يكون إمعة يميل حيث الريح تميل بل هو الرجل الذي يحافظ على العهود والمواثيق ويتمسك بالأخلاق والفضائل، ويكره البخل الذي يجلب العار إلى صاحبه، فإذا أصدر حكماً أو اتخذ قراراً، أو عزم أمراً فإنه يقف عنده ويتحمل في سبيله كل النتائج، إنه الاعتقاد والإيمان، وهما لا يخضعان للرد ولا للمناقشة.

---

(١) ديوانه ص ٢٠٦ .

## الخصائص العامة لشعر حسان

### أغراضه ومناهجه

لقد كان حسان من المجدّدين في شعره وقد أتاحت له حياته الطويلة ومعاصرته لعصرين مختلفين كلّ الاختلاف أن يكون مجدّداً في تفكيره ومناهج شعره، لأن الاسلام الذي أدركه حسان قد أثر في شعره وهذا التأثير وإن لم يكن قوياً وفاعلاً نظراً لعدم قدرة حسان على التخلّي عمّا علق في نفسه من رواسب الجاهلية، فإنه ولا شك قد ساعد حسان على التجديد وأمدّه بمعانٍ جديدة لم يكن ليقدّر على ولوجها لولا إدراكه الاسلام، وإطلاعه على القرآن وإيمانه بالتعاليم الدينية الجديدة، وأوّل ما يمكن أن نطلع عليه من ذلك التجديد هو أمران:

الامر الأول: النقائص التي كان أوّل من وضع أسسها وساهم في تطويرها لتتسع فيما بعد على أيدي شعراء المثلث الأموي.

الامر الثاني: الشعر الديني الذي تأثر بمضمونه الجديد وحاول أن يصوره في شعره ما أمكن.

إذًا، فالنقائض هي ذلك الشعر الذي يمكن تسميته  
 «بالشعر السياسي» لأن النقائض إنما كانت تأييد القبيلة في  
 مختلف شؤون حياتها العامة فهي تشمل السلم والحرب  
 وتشيد بمآثر القبيلة وتفخر بأمجادها وتستهن بأمر أعدائها  
 وتنال منهم عن طريق التجريح وذكر المثالب أما الشعر  
 الديني، فهو ذلك الشعر الذي نظمته حسن بعد الاسلام  
 وحاول به أن يردّ على خصوم العقيدة، وقد ضمّنه حسان  
 بعض ما يدعو إليه الاسلام، ولكنه لم يتخلّ فيه أيضاً عن  
 الدفاع عن العقيدة بما يناسب أعداء الاسلام، فالشعر الديني  
 يتضمن إذًا إلى جانب إظهار أبعاد الدعوة الاسلامية آفاقاً  
 سياسية أخرى فهو لم يفصل عنها بل حاول حسن أن يجمع  
 بين الدين والسياسة وهذا الجمع أمر مفروض ومحتم لأن  
 الاسلام، كان لا يفرّق بين الدين والسياسة فهما فيه أمر  
 واحد، وخاصة في عصر الرسول الذي كان النبي ﷺ القائد  
 والمعلم والموجه والمرشد، أما أغراضه وفنونه الشعرية  
 الأخرى فهو وإن التقى مع «غيره في كثير من معانيه أو شابهه  
 في مناهجه فإنه لم يقصد إلى اتباع أحد في شيء من ذلك،  
 ولكنه وجد في قومه عدّة الفخر وآلته فاستملى منهم صورة  
 وكتب آياته. ولن تجد في معاصريه من يساميه فخراً، أو يشعر  
 بحقه فيه شعوره» وهكذا يبدو أن الفخر كان «محور شعره  
 وقطب رحاه وغرضه الأصيل وفنه المحبوب، ومنه امتدت

لمخات الجمال إلى شعره، وسرت نفحات القوة والجزالة في  
أوصاله<sup>(١)</sup>.

أما غزل حسان الذي كان يفتح به قصائده ومن ثم  
ينتقل بعد إلى ذكر الغاية المرجوة من فخر ومدح إلى غير ذلك  
من الفنون، فإنه كان شعراً رقيقاً نلمح فيه آثار الحضارة  
وشفاية العيش المنعم، فقد قدر لحسان أن ينتقل إلى خارج  
بيئته ويتعرف على حياة بعيدة عن حياة البداوة. وقد أكسب كل  
ذلك حسان الرقة والجمال وصفاء المعاني أما بقية الأغراض  
الشعرية فإن حسان قد حاول أن يلتم بها ولكن طبيعته وقبليته  
فرضت عليه اتجاهاً من القول فأكثر فيه، ومع ذلك فإنه بإمكاننا  
أن نرى في شعره المدح والرثاء والشعر القصصي، إلا أن ذلك  
كان قليلاً في شعره، رغم أن الرثاء كان له نصيب لا بأس به في  
شعره ولكنه لم يكن ليلغ فيه فخره وغزله وأوصافه.

### معانيه ..

: إذا حاولنا أن نتبع معاني حسان الشعرية فإننا سوف  
نلاحظ أثر الحياة بادياً في تلك المعاني، فقد كان حسان غزير  
المعاني خصيب الخيال، وكان اهتمامه بالغوص على  
المعاني أشد من اهتمامه بتخير اللفظ الرائق وإجادة التأليف  
وحلاوة النغم، وهذا أمر مألوف في بداية عصور التطور وأزمان

(١) د. محمد طاهر درويش

حسان بن ثابت ص ٤٦٥ .

النهضات، إذ أن الشغل الشاغل للشعراء في مثل هذه الأوقات هو إظهار المعاني ومحاولة توصيلها إلى الناس بمختلف الطرق، وقد قلنا: إن حسان قد أدرك الإسلام وآمن بالدعوة المباركة، ولذلك فإنه حاول أن يقدم معاني هذه الدعوة ما أمكن في أشعاره إلى الناس، وحسان في معانيه يتأرجح بين الفطرة والتجديد فهو في معانيه متبع ومجدد، مقلد ومبتكر، وهو فيها إما متأثر بأجواء الحياة البدوية، وإما مستقي من حياة الحضارة الجديدة، وكان في معانيه الشعرية يعتمد على إبراز الحقيقة وجلاء معانيها وإظهارها بالصورة القادرة على الإفصاح والتعبير، فهو يستعمل في سبيل ذلك الإظهار مختلف الصور الفنية من تشبيه واستعارة وتمثيل، وقد أمدّه خياله الذي اتسع بمواكبة الحضارة والدين الجديد بكثير من الصور الفنية الجديدة، فمن معانيه الفطرية التي تصوّر الواقع قوله:

فوقفت بالبيداء أسألها  
 أنى اهتديت لمنزل السفر  
 والعيسُ قد رُفضت أزمتها  
 ممّا يرون بها من الفتر  
 وعلت مساوئها محاسنها  
 ممّا أضرب بها من الضمير

كنا إذا ركد النهار لنا  
نغتاله بنجائب صعر  
عوج نواج يعتلين بنا  
يعفين دون النص والزجر  
مستقبلات كل هاجرة  
ينفخن في حلق من الصعر  
وسما على عود فعارضنا  
حرباؤها أوهم بالخطر  
وتكلفني اليوم الطويل وقد  
صرت جنادبهُ من الظهر

ففي هذه الأبيات لا ترى إلا صورتين صادقتين،  
أولاهما للركب في البداء حيث العيس قد أضناها السفر  
وحيث الحر الشديد الذي يجعل المسافرين يكابدون كثيراً من  
العناء والمشقات، وأخرى للركب على النجائب القوية  
النشيطة السريعة وهم يقطعون الفلوات بصبر وعزيمة، فهاتان  
الصورتان تدلان على ما يريد الشاعر بأوضح الصور الغنية  
بالمشاهد والألوان ومن جميل تصويره للواقع قوله يصف  
الصحرَاء:

والليلة الظلماء أدلجها  
بالقدم في الديمومة القفر



ينعى الصّدى فيها أخاه كما  
 ينعى المفجّع صاحب القبر  
 وتحولُ دون الكفّ ظلمتها  
 حتى تشقّ على الذي يسري  
 فهو يصور الصحراء في شدّتها وعبوسها ورهبتها  
 مستعيناً بالتشبيه الذي يحاول فيه أن ينقل المعنى بما فيه من  
 رهبة وخوف وظلمة شديدة تزيد في ذلك وتجعل الإنسان في  
 ترقب وحذر، وربّما نجد في البيت الثالث صورة معنوية  
 موافقة لما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: حتى إذا  
 أخرج يده لم يكد يراها.

من صوره المتحركة وصفه لقاء جيش المسلمين  
 والمشرّكين في بدر إذ يقول:

غداة كأنّ جمعهمُ حراءُ  
 بدت أركائهُ جنح المغيب<sup>(١)</sup>  
 فلاقيناهم منّا بجمع  
 كأسد الغاب من مردٍ وشيب  
 بأيديهم صوارم مرهفاتُ  
 وكلّ مجرّب خاظم الكعوب<sup>(٢)</sup>

(١) حراء: جبل بمكة.

(٢) خاظم الكعوب: صلابها.

ومما أحسن فيه التشبيه قوله :  
كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ  
يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ  
عَلَى أَنْيَابِهَا، أَوْ طَعْمُ غَضٍّ  
مِنَ التَّفَاحِ هَضْرُهُ اجْتِنَاءُ

وقوله : في التعبير عن جمال العين :  
لَهَا عَيْنٌ كَحَلَاءِ الْمَدَامِ مِطْفَلٍ  
تَرَاعِي نَعَاماً يَرْتَعِي بِالْخُمَائِلِ  
وقوله في وصف ما تحدثه البغضاء في النفوس وما تثيره  
من جفاء وحقد :

وَقَوْمٍ مِنَ الْبَغْضَاءِ زَوْرٍ كَأَنَّمَا  
بِأَجْوَاهِهِمْ مِمَّا تُجْنُ لَنَا الْجَمْرُ  
يَجِيشُ بِمَا فِيهَا لَنَا الْغَلِيُّ مِثْلَمَا  
تَجِيشُ بِمَا فِيهَا مِنَ اللَّهَبِ الْقَدَرُ

وقوله الذي يمثل فيه مازجاً التهكم في السخرية :  
لَوْ أَنَّ اللَّؤْمَ يَنْسَبُ كَانَ عَبْدًا  
قِيحَ الْوَجْهِ أَعْوَرَ مِنْ ثَقِيفٍ

وقوله الذي يكثر فيه من الاستعارة :  
فَنَحْنُ الدَّرَى مِنْ نَسْلِ آدَمَ وَالْعُرَى  
تَرْبَعُ فِينَا الْمَجْدُ حَتَّى تَأْتِلَا

بنى العزّ بيتاً فاستقرت عمادُهُ  
علينا فأعيا الناس أن يتحوّلا

وقوله الذي يَكْنِي فيه :  
وكان أبو سرحٍ عقيماً فلم يكن  
له ولدٌ حتى دعيت له بعدُ

فحسانٌ في صوره الشعرية تلك يحاول أن يجدد في  
المعاني عن طريق التشبيه والتمثيل والكناية والاستعارة، وقد  
جاءت تلك الأدوات عفوية ولم تكن مفتعلة، فأضفت على  
الصور جمالاً وحركة وساعدت المعنى على بلوغ أهدافه  
ومراميه.

### لُغَتُهُ

لا شك في أن للغة دورها الهام في التعبير عن حاجات  
النفس ورغبات المقاصد، فاللغة وسيلة من وسائل التعبير  
والايصال، وبقدر ما تكون اللغة قويّة واضحة بقدر ما تحقق  
الوفاء بعملية الايصال؛ لأن الكلام لغة ومعنى، وتجانس  
اللفظ مع المعنى كفيل بأداء الايصال السليم إلى الغير وحسان  
في أشعاره حاول أن يستعمل الكلام المناسب في المكان  
المناسب فهو في فخره مثلاً نراه يستعمل اللغة القويّة الجزلة  
التي تحرّك في النفس الشعور بالعزّة والمنعة والثقة فالمعنى  
الضخم يستوجب اللغة الضخمة والمعنى الرقيق يستوجب

اللغة الرقيقة، ولذلك نرى حسان في غزله وفي رثائه يستعمل الألفاظ السهلة الرقيقة المؤثرة التي تظهر مدى التأثير وتحمل رقيق المشاعر وسلاسة التعبير.

والمستبَع لشعر حسان يرى أنه كان يتحرى فيه المساواة بين اللفظ والمعنى ويتجافى الغريب المستكره من القول وبخاصة في شعره الإسلامي، وكان لشعره في الجملة ذلك التناسق النغمي الذي يمكن أن نستشعر دفته ونحس بهدوئه وسكونه، وهو يلائم بين موضوعات شعره وبين اللغة التي تعبّر عن تلك الموضوعات ملائمة نلمح فيها الحرص على إيصال المعنى بدقة وقدرة وفعالية فأسمع إذ يقول: (١)

أقمنا على الرّس النزيع لياليا

بأرعن جرّارٍ عريض المبارك (٢)

بكل كميّة جوزة نصف خلقه

وقبّ طوالٍ مشرفات الحوارك (٣)

تري العرفج العامي تذوي أصوله

مناسم أخفاف المطي الرواتك (٤)

---

(١) ديوانه ص ١٧٠ .

(٢) الرّس: البئر، والنزيع: القرية القعر، والأرعن: الجيش العظيم.

(٣) الكميّة: الفرس الذي لونه بين السواد والحمرة، وجوزة: نصفه،

والقب: الضامرة من الخيل. والحوارك: أعلى الكواهل.

(٤) العرفج: شجرة قدر فراع أو أكثر، والرواتك: ضروب من السير.

إذا ارتحلوا عن منزلٍ خلت أنه  
 مدمن أهل الموسم المتعارك<sup>(١)</sup>  
 نسيرُ فلا تنجو اليعافير وسطنا  
 ولسو والت منا بشدِّ مواشك<sup>(٢)</sup>  
 ذروا فلجات الشام قد حال دونها  
 خراب الأفواه المخاض الأوارك<sup>(٣)</sup>

فحسان في هذه الأبيات يحاول أن يدخل الرعب إلى  
 جيوش المشركين بحيث نراه يستعمل الألفاظ الضخمة التي  
 تحمل الهول وتظهر القوة وتبين الكثرة، وهي ألفاظ تحمل كل  
 معاني القوة القادرة على الأخذ والتهويل، فهو هنا يتخير ألفاظه  
 تخيراً يتناسب مع الحالة الصدمية التي يمكن لها أن توهم من  
 قوى الخصوم وتفت من عضدهم ومواجهتهم وتحمل إلى  
 قلوب أفراد ذلك الجيش الهلع والخوف والشروع إلى الهرب أو  
 التسليم، فالحرب إضافةً إلى كونها حربٌ بأدوات معينة، إلا  
 أنها تتأثر بالمؤثرات النفسية التي تحملها الكلمات وتعبّر عنها  
 الألفاظ.

وإذا حاولنا أن نستجلي تواءم الألفاظ مع معانيها

(١) مدمن: من الدمن وهي آثار الأوساخ والأبعاد.

(٢) اليعافير: الطباء، والمواشك: السريع.

(٣) الفلجات: جمع فلجة وهي ما شق من الديار، والأوارك: المقيمة في  
 شجر الأراك.

وخصوصاً في مواضع الفخر والغزل والرثاء، فإننا سوف نلاحظ حسنًا في فخره يستعمل كلّ الألفاظ القادرة على إظهار الفخر الذي يستعلي فيه على الخصوم، فهو في ألفاظه يذكر الأمجاد الثليدة والأنساب الرفيعة والأفعال الكريمة ويعمل جهده على تأصيل ذلك في قومه عن طريق الألفاظ المناسبة والجامعة لك خصائص الفخر الجاهلي وقيمه المعنوية والمادية فاسمعه وهو يفتخر بقومه<sup>(١)</sup>:

ألم ترنا أولاد عمرو بن عامرٍ  
لنا شرفٌ يعلو على كلّ مرتقي  
رسا في قرار الأرض ثم سمت له  
فروعٌ تسامي كلّ نجمٍ محلّق  
ملوكٌ وأبناء الملوك كأننا  
سوارى نجومٍ طالعات بمشرق  
إذا غاب منها كوكبٌ لاح بعده  
شهابٌ متى ما يبدُ للأرض تشرق  
لكلّ نجيبٍ منجبٍ زخرت به  
مهذبَةٌ أعراقها لم ترهق<sup>(٢)</sup>  
فإنك في هذه الأبيات تدرك كيف استطاع حسنًا

---

(١) ديوانه ص ١٦٦ .

(٢) لم ترهق: لم تدنس:

بكلماته أن يني مجداً من الشرف سقفه الفضاء الرحب والقوة  
القادرة والنسب الأصيل والعزّ الدائم المتأصل في الأبناء  
والأبناء عن طريق الأعراق الكريمة والأنساب الصافية، ثم  
اسمعه أيضاً في غزله حيث يقول: (١)

منع الندم بالعشاء الهموم  
وخيال إذا تغور النجوم  
من حبيب أصاب قلبك منه

سقم فهو داخل مكتوم  
بالقوم هل يقتل المرء مثلي  
واهن البطش العظام سؤوم (٢)

همها العطر والفراس ويعلوها  
لجين ولؤلؤ منظوم  
لو يدب الحولي من ولد الذر

عليها لأندبتها الكلام  
لم تفقها شمس النهار بشيء

غير أن الشباب ليس يدوم  
فهو في هذه الأبيات يذوب رقة وهوى، وتتراحم  
الكلمات مطوعة تبين لنا لواعج الحب وأشواق المحب، فإذا

---

(١) ديوانه ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) الواهن: الضعيف والسؤوم: المألوم.

بحسّان إنسانٌ يقتله العشق ويقف أمام من يحب منهزماً  
مسلياً له مطيعاً للجمال لا يستطيع أن يقاوم إغراءاته المادية  
والروحية، ولا بدّ لنا ونحن نقرأ أبياته أن ندرك كيف أن كلماته  
قد رقت وذابت واستطاعت أن تنقل إلينا حالة نفسه التي لم  
تكن بعيدة عن حالة كلماته، ثم اسمعه في رثائه لتدرك في  
النهاية أنّ حسان قد عبّر عن كل غرضٍ من أغراضه بما  
يتناسب من القول، يقول حسان: (١)

ما بال عينك لا تنام كأنما  
كحلت مآقيها بكحل الأرمـد

جزعاً على المهديّ أصبح ثاوياً  
يا خير من وطىء الحصى لا تبعد  
جنبي بقيك التـرب لهفي ليتني

غيّيت قلبك في بقيق الغرقـد  
أقيم بعدك بالمدينة بينهم؟

يا ليتني صبحت سمّ الأسود (٢)  
أو حلّ أمر الله فينا عاجلاً

في روحةٍ من يومنا أو في غد  
يا بكر آمنة المبارك ذكره

ولدتك مُحصنةً بسعد الأسعد

---

(١) ديوانه ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) صبحت: أي شربت.



نوراً أضاء على البرية كلها  
من يهد للنور المبارك يهتد

وهكذا فإن ألفاظ حسان تتناسب وموضوعاته الشعرية،  
فهو يختار لقصائده من الألفاظ ما يجعلها تؤدي دورها من  
الإيصال والتأثير، فلكل غرض من أغراضه كلم يناسبه، وهو  
في جميع أغراضه يوائم بين اللفظ والمعنى بحيث لا يفوته  
الجمال ولا تعوزه الرقة والرهافة ..

### بحوره وأوزانه ..

لا شك في أن إيصال المعنى لا يتم عبر الألفاظ فقط بل  
هناك ما يزيد في الإيصال حلاوةً ونغماً، فالموسيقى المنبعثة  
وخاصة في الشعر من خلال البحور والأوزان تستطيع أن  
تساهم بقدر كبير في عملية الإيصال والتعبير، فقد يكون  
المعنى الذي يتحدث عنه الشاعر بليغاً وعميقاً ولكنه لا يلبسه  
الثوب الرقيق الناعم القادر على إظهار ذلك المعنى بأجمل  
الحلل من الألفاظ والأوزان، والذي يطالع الشعر العربي  
القديم يدرك أن البحور المستعملة بكثرة هي: الطويل  
والكامل والوافر والبسيط والخفيف وهذه البحور يمكنها بما  
فيها من المرونة والسلاسة أن تعبر عن جميع الاحساسات،  
ولذلك فإن أكثر الشعر العربي جاء منظوماً في دائرة هذه  
البحور وخاصة الطويل منها، وقد أكثر حسان من هذا البحر

في أشعاره وخاصة التي يفتخر فيها ويصف لأنّ هذا البحر أصلح البحور للتعبير عن مثل هذه المواقف وحسّان في شعره كان مجارياً لشعراء عصره يأخذ ما يأخذون ويترك ما يتركون فكانت البحور المستعملة عنده بكثرة هي الطويل والكامل والبسيط والوافر، ويليها المتقارب والخفيف والرمل والسريع ولم ينظم من المديد والهزج والمضارع والمنسرح والمجثث وغيرها وكان أكثر من ثلث شعره في الجاهلية والإسلام من الطويل.

والمراجع لقصائد حسّان وموضوعاتها يدرك أنّ حسّان قد لاءم بين موضوعات شعره وأوزان بحوره، فهو في المناسبات التي تتطلّب فخراً وقوة ووصفاً نراه يستعمل الطويل والبسيط، ولكنه في الموضوعات التي تتطلّب رقة وغزلاً وشفافية فإنه قد استعمل البحور المناسبة لها كالخفيف والوافر والرمل، وهما من أهمّ البحور التي مال إليها الشعراء قديماً وحديثاً للتعبير عن الانفعالات والعواطف لما فيها من جنوح إلى السلاسة والرقّة.

والملاحظ أنّ حسّان لم يلجأ إلى استعمال البحور القصيرة في أشعاره على الرغم من أنّه اضطر إلى الإرتجال، فلا نجده يرتجز، ولكنّا نرى أنّه كان يميل إلى المقطوعات القصيرة عند استعماله البحور القصيرة الوزن، وآثر أن

يستعمل البحور التي تفي بالغرض في الموضوعات التي  
تتطلب سروحاً طويلاً وجولةً تتشابه صورها وتتضمن لتؤلف  
لوحة شعرية متعددة الرؤى والأغراض.

### أثر القرآن في شعره:

لا شك في أن حسن قد تأثر بالبيئة التي عاشها على  
غرار جميع الشعراء الذين ترك فيهم المؤثرات المتعددة  
بصمات لا بد أن نلمحها في أشعارهم، وحسان ابن المدينة  
المنورة التي كانت بيئتها تمثل بيئة نعيم وترف وحضارة، فقد  
تركت فيه تلك البيئة أثراً بالغاً كما أن رحلاته إلى خارج حدود  
تلك البيئة وخاصة إلى الحيرة وبلاد الشام قد تركت فيه أيضاً  
آثاراً هامة وجعلته يطلع على ما في هاتيك البيئتين من ترف  
ونعيم وحضارة مادية، وهذا ما أضاف إلى خياله كثيراً من  
الصور، وجعله يحلق في أفق أرحب وفضاء أشمل، ويمكنك  
أن تلاحظ شغفه بهذه البيئة الجديدة في قوله: (١)

لعمري لحرث بين قفٍّ ورملةٍ

بيرثٍ علت أنهارُهُ كلَّ مخرمٍ (٢)

لدى كل بنيانٍ رفيعٍ ومجلسٍ

نشاوى وكأسٍ أخلصت لم تصرمٍ (٣)

---

(١) ديوانه ص ٢٣٢ .

(٢) البرث: الأرض اللينة السهلة، المخرم: الطريق في الجبل.

(٣) تصرم: تنقطع.

أحبُّ إلى حَسَّانٍ لو يَسْتَطِيعُهُ

من المرقصات من غفارٍ وأسلم<sup>(١)</sup>

وقد جعله الشغف بمثل هذه البيئة الجديدة يتجه إلى  
الاقلال من وصف بيئة البادية ولذلك فإنه لم يجر على ما جرى  
عليه الشعراء من الإكثار لوصف الفرسِ والناقة والظبي  
وحيوانات الصحراء ومظاهرها المادية، ونراه في شعره يكثر  
من ذكر الخمر وأماكنها وشرابها وتأثيرها ويغيّر البدو جفاء  
حياتهم وشربهم ألبان الماعز وابتعادهم عن أبواب الماجدين  
فيقول:

من جذم غَسَّانٍ مسترخٍ حمائلهم

لا يُغْبِقُونَ من المعزى إذا آبوا  
ولا يذادون محمراً عيُونُهُمْ

إذا تحُضِر عند الماجد الباب

كانوا إذا حضروا شيب العقار لهم

وطيف فيهم بأكواس وأكواب<sup>(٢)</sup>

واستمع إليه في هذه الابيات التي يصف فيها مجلس

لهو شهده، فيقول: <sup>(٣)</sup>

---

(١) المرقصات: الإبل المحمولة على السَّير، وغفار وأسلم: قيلتان.

(٢) في البيت إقواء أي اختلاف حركة الروي عن حركة ما قبله.

(٣) ديوانه ص ١٣٧ - ١٣٨ .

رَبِّ لَهُوَ شَهِدَتُهُ، أُمَّ عَمْرٍو  
 بين بيضِ نِوَاعِمٍ فِي الرِّبَاطِ  
 مع نَدَامَى بِيضِ الْوُجُوهِ كَرَامٍ  
 نُبِّهُوا بَعْدَ خَفَقَةِ الْأَشْرَاطِ<sup>(١)</sup>  
 لَكُمِيتٍ كَأَنَّهَا دُمُ جُوفٍ  
 عُتِقَتْ مِنْ سَلَافَةِ الْأَنْبَاطِ  
 فَاحْتَوَاهَا فَتَى يُهَيِّنُ لَهَا الْمَالَ  
 وَنَادَمَتْ صَالِحَ بْنَ عَلَاطٍ  
 ظَلَّ حَوْلِي قِيَانُهُ عَازِفَاتٍ  
 مِثْلَ أَدَمٍ كَوَانِسٍ وَعَوَاطٍ<sup>(٢)</sup>  
 طَفَنَ بِالْكَأْسِ بَيْنَ شَرْبٍ كَرَامٍ  
 مَهَّدُوا حَرَّ صَالِحِ الْأَنْمَاطِ

فإنه في هذه الأبيات التي يصف فيها مجلس لهو  
 وشراب، نراه يحنّ إلى حياة الترف والنعيم بعيداً عن حياة  
 البادية الجافة، وكيف لا يأنس بتلك الحياة وهو يغتبق الخمرة  
 وحوله الندامى والكواعب الحسان والعازفات اللواتي يدخلن  
 إلى القلب السرور. بجمالهن وعزفهن وحسن معاملتهن حيث

(١) الأشرط: أي آخر الليل.

(٢) الكوانس: ما كان في الكئس وهو بيت الظبي، والعواطي: التي تمطو  
 بأعناقها أي بتمدّها.

الحضارة هذبتهن وحولت مجالسهن إلى مجالس للأنس  
والسمر والسرور.

وهكذا فإن رحلات حسان وانتجاعه أماكن الحضارة في  
عصره وجو المدينة لم يخلُ من اللهو والترف قد أثر جميع ذلك  
في شعره وجعله رقيقاً عذباً، ويمكن لنا أن نلاحظ ذلك في  
كل قصائده التي لم تخلُ من إشارة إلى حياة اللهو والنعيم  
حيث نلمح ذلك حتى في وصفه المطر حيث يقول:

عسجن بأعناق الظباء وأبرزت  
حواشي برود القطر وشياً منمنماً

وفي وصفه لنساء الرسول في حزنهن حيث يقول:  
مثل الرواهب يلبسن المسوح وقد  
أيقنّ بالبؤس بعد النعمة البادي

وأخيراً ننتهي إلى القول بأن حسان قد استفاد من  
رحلاته وأثرت الحضارة في أخلاقه ومعاملته، فغدا صاحب  
الطبع السمع والذوق المرفف، والخيال الواسع، فساعده  
ذلك على ابتداع الصور الجميلة والابتعاد عن الغريب الجاف  
المعقد.

### أثر القرآن في شعره:

لقد شهدت الحياة العربية نقلة واسعة بعد مجيء  
الاسلام وانتشار الدعوة المباركة، حيث نرى الإسلام قد أحيا

في النفوس التطلّع إلى أبعاد جديدة ومفاهيم جديدة وحضارات جديدة لم يكن العرب قد اعتادوا عليها كما أنه غرس فيها مفاهيم وقيم وشرائع جديدة كان لها أبعد الأثر في ذلك التغيير الذي أصاب حياة العرب . ولا شك فإن حسان ابن البيثة الإسلامية الجديدة وأحد الشعراء الذين عاصروا الدعوة الإسلامية ونصروها بلسانهم النصر العظيم كان ممن تأثروا بتلك الدعوة وتمسكوا بتعاليمها وقيمها في أشعاره الإسلامية، وقد أكثر حسان في أشعاره من اقتباس الآيات القرآنية وتضمينها قصائده، وسوف نستعرض بعضاً من أبياته لنلمح فيها ذلك التأثير: يقول حسان:

فاذهب خبيب جزاك الله طيبةً  
وجنةً الخلد عند الحور في الرفق

فقد أخذ معنى قوله من الآية المباركة:

«وَحورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جزاءً بما كانوا  
يعملون» وأخذ معنى وجود الملائكة على جوانب السماء في  
قوله:

ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم  
حين الملائكة الابرار في الأفق

من قوله تعالى:

والملكُ على أرجائها، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذِ  
ثمانية.

وفي قوله :  
مصدقاً للنبيين الألى سلفوا  
وأبذل الناس للمعروف للجادي<sup>(١)</sup>  
فقد أخذ معناه من قوله تعالى :  
«مصدقاً لما بين يديه من الرسل».

وفي قوله :  
عزيزٌ عليه أن يحوّروا عن الهدى  
حريصٌ على أن يستقيموا ويهتدوا  
عطوفٌ عليهم لا يثني جناحه  
إلى كنفٍ يحنو عليهم ويمهدُ  
فقد أخذ معناه من الآية الكريمة :

«لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عثتمُ،  
حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم».

وفي قوله :  
نبيُّ أنا بعد يأس وفترة  
من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

---

(١) الجادي : طالب المعروف.



أخذه من قوله تعالى :

«يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من  
الرسل»

وهكذا فإننا في هذه الأمثلة التي اقتطفناها من كثير  
أمثالها نستطيع أن نقف على تأثر حسان بالقرآن الكريم والأخذ  
من معانيه المباركة وتضمينها لأشعاره، وكان حسان بهذا التأثير  
الكبير الواسع رغم قلة الزمن الذي عاش فيه الدعوة واحداً من  
أبرز الشعراء الذين استلهموا تعاليم الدعوة الجديدة حتى إنه  
قد بلغ في ذلك شوطاً بعيداً لم يستطع أن يبلغه أحد غيره من  
المعاصرين وبذلك يكون قد فتح الطرق أمام الشعراء  
لاستلهم الآيات القرآنية وتزيين الأشعار بقبسٍ من نورها  
المبارك.

### منزلته :

لا شك بأن حسان كان واحداً من الشعراء الذين تركوا  
في الشعر تراثاً ضخماً وأثراً بالغاً، وهو كغيره من الشعراء له  
وعليه، فالشعر الثرّ الغزير لا يمكن أن يكون في مجمله على  
مستوى واحدٍ من النظم، ففي الشعر الجيد والردّيء والغالي  
والرخيص إذا ما تصفّحنا أشعاره فإننا سوف نقع فيها على  
المنظوم الجيد، كما سنقع فيها على كثير من المأخذ  
والعيوب، وهنا يطيب لنا بعد أن تناولنا شعر حسان بالدرس أن

نذكر آراء النقاد والمعاصرين له لنقف على منزلته في عالم الشعر، لننتهي بعد ذلك إلى إصدار حكم لا ن ظلم فيه الرجل حقّه ولا نبخسه مقامه الرفيع وقد مرّ معنا كيف أن حسان كان قد التقى النابغة وقد أنشده الأعشى والخنساء من بعده حيث قال لها النابغة: لولا أن أبا بصير أنشدني لقلت: إنك أشعر الناس، وكيف أن حسان قال له: «إني أشعر منك ومن أبيك» اعتداداً منه بشعره وثقةً منه بنفسه حيث كان النابغة قد قال له في موضع آخر «إنك لشاعر» وقد قال الحطيئة: أبلغوا الأنصار أن شاعرهم: أشعر العرب حيث يقول:

يغشون حتى ما تهرُّ كلابهم

لا يسألون عن السّواد المقبل

وقد جعله صاحب طبقات الشعراء واحداً من الفحول الخمسة الاسلاميين وقال منوهاً بشاعريته: «وأشعرهم حسان بن ثابت هو كثير الشعر جيده»<sup>(١)</sup>.

وذكر الأصمعي حسان بن ثابت وميز بين شعره في الجاهلية والاسلام فقال: «فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الاسلام سقط شعره، وقال مرة أخرى: شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر»<sup>(٢)</sup>.

(١) طبقات الشعراء ص ٨٧ .

(٢) الشعر والشعراء ص ١١٨ .

ويرى مزرد أخو الشماخ في حسان مثلاً للشاعر،  
ويستكثر على كعب بن زهير أن يدعي لنفسه وللحطيئة سبقاً  
في ميدان القوافي، فأين هو من حسان بن ثابت؟ ويقول  
له: (١)

فلست كحسان الحسام بن ثابت  
ولست كشماخ ولا كالمخبّل  
فبؤسك أن خلفتني خلف شاعر  
من الناس لا ألفي ولا أتنخل (٢)  
وقال أبو عمرو بن العلاء: أشعر أهل الحضر حسان بن  
ثابت.

وقال أبو عبيدة: «أجمعت العرب على أن حسان أشعر  
أهل المدر» وقال: «فصل حسان الشعراء بثلاث: كان شاعر  
الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي أيام النبوة، وشاعر اليمن  
كلها في الاسلام».

وقال أبو الفرج الأصبهاني: «حسان فحل من فحول  
الشعراء» وذكر أن شعره كان من مفاخر الأنصار على الشعراء:  
هذه بعض الآراء في شعر حسان صدرت عن طائفة من  
النقاد والشعراء وأهل اللغة، وهي جميعها آراء تنوّه بفضله

---

(١) الشعر والشعراء ص ٨٢ .

(٢) في البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروي عما قبلها.

ومكانته وثبت أن لكلّ شاعر من الشعراء قصائد قد وفقّ فيها وأجاد وأنّ له قصائد أخرى لم يحالفه التوفيق فيها لأسباب كثيرة، وحسّان يكفيه فخراً أنّه قد خلف ذخيرة كبيرة من الشعر الجيد، واستطاع أن يستلهم في شعره كثيراً من الآيات القرآنية، وأن يكون رائد الشعر السياسي والديني وفتح باب شعر النقائض، كما أنه كان من الشعراء المؤثرين في غيره، فقد تأثر بأشعاره كبار الشعراء أمثال: الكميت بن زيد والفرزدق وجريز، كما أن شعراء الغزل في المدينة كالأحوص والعرجي وابن أبي ربيعة قد وقفوا جميعهم على غزله الرقيق واستقوا من منابه الثرة، ويكفي حسّان بعد ذلك كلّهُ فخراً أن يكون شاعر الرسول وصاحبه والمؤيد له بقلبه ولسانه، فقد استبق حسان الشعراء إلى اتباع مناهج الإسلام، وتخلّى في شعره عمّا ذمّه القرآن ونهى عنه الرسول الكريم، ووقف نفسه على خدمة الدعوة الجديدة فكان الشاعر المنافع عنها في كلّ موضع، فنال من أعداء الاسلام ما ناله المجاهدون منهم بالسيف والسنان، وقد كان شعره وبالأعلى على المشركين وصاعقة على أعداء الدين حتى استحق بجدارته أن يلقب شاعر الرسول الكريم، فقدّمه الرسول على غيره من الشعراء وانتدبه لهجاء المشركين والذود عن أعراض المسلمين، وأقام له منبراً في مسجده ينشد من عليه الشعر، وقد دعا الرسول مراراً له وقال له: والله إنّ كلامك لأشدّ عليهم من وقع السّهام في

غلس الظلام، وفي موضع آخر قال: هجاهم حسان فشفي واشتفى.

وهكذا فقد تبوأ حسان منزلة رفيعة في دنيا الشعر والسياسة والدين، وقد كان إلى جانب ذلك صاحب أخلاق رفيعة ومزايا إنسانية رائعة، ورجل خلق وفضيلة وحسب ودين فكان لهذه الفضائل كلها أثر في شعره، فافتحم اسمه الممالك واجتاز القفار وزاحم فحول الشعراء، وقال في الفخر شعراً دوى به الزمان، ثم لا بد أن نذكر له في النهاية فضل حمل لواء الرسالة واختيار الرسول له ليكون شاعره الخاص، وهذا الفضل فقط يكفيه لأن يكون في مصاف كبار الشعراء على مدى العصور...

نماذج من شعره

## بطيئة رسم للرسول

قال رضي الله عنه يرثي  
النبي، صلى الله عليه وسلم:

بِطَيَّةَ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ  
مُنِيرٍ، وَقَدْ تَغْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ  
وَلَا تَنْمَحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ  
بِهَا مَنِيرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ  
وَوَاضِحُ آيَاتٍ، وَيَاقِي مَعَالِمُ،  
وَرَبَّعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدُ  
بِهَا حُجَرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطُهَا  
مِنْ اللَّهِ نَوْرٌ يُسْتَضَاءُ، وَيُوقَدُ  
مَعَالِمُ لَمْ تُظْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيُهَا  
أَتَاهَا الْبَلَى، فَالْأَيُّ مِنْهَا تَجَدَّدُ  
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ،  
وَقَبْرًا بِهِ وَارَاهُ فِي التُّرَابِ مُلْجِدُ

ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكَي الرَّسُولَ، فَأَسْعَدْتُ  
 عُيُونَ، وَمِثْلَاهَا مِنَ الْجَفْنِ تُسْعَدُ<sup>(١)</sup>  
 تَذَكَّرُ آلاءَ الرَّسُولِ، وَمَا أَرَى  
 لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِي، فَنَفْسِي تَبْلُدُ<sup>(٢)</sup>  
 مُفْجَعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدُ،  
 فَظَلْتُ لِآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدُّ  
 وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَشِيرَةٍ،  
 وَلَكِنْ نَفْسِي بَعْضَ مَا فِيهِ تَحْمَدُ  
 أَطَالَتُ وَقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جُهِدَهَا  
 عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ  
 فَبُورِكْتَ، يَا قَبْرَ الرَّسُولِ، وَبُورِكْتَ  
 بِبِلَادِ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ<sup>(٣)</sup>  
 وَبُورِكَ لَحْدُ مَنْكَ ضَمَنْ طَيِّبًا،  
 عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ، مُنْضَدُّ  
 تَهِيلٌ عَلَيْهِ التُّرْبُ أَيْدٍ وَأَعْيُنُ  
 عَلَيْهِ، وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ<sup>(٤)</sup>

(١) أسعدت: أعانت.

(٢) تبلد: تتحير.

(٣) المسدد: الذي وفقه الله للسداد، أي الصواب.

(٤) تهيل: نصب. وقوله: وأعين، أراد وأعين نصب عليه الدمع.

لقد غَيَّبُوا جِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً،  
عَشِيَّةَ عَلَوِهِ الثَّرَى، لَا يُوسَدُ  
وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَيْيُهُمُ،  
وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ  
يُكُونُ مَنْ تَبْكِي السَّمَوَاتُ يَوْمَهُ،  
وَمَنْ قَدْ بَكَتُهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ<sup>(١)</sup>  
وَهَلْ عَدَلْتُ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكِ  
رَزِيَّةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ<sup>(٢)</sup>  
تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ،  
وَقَدْ كَانَ ذَا نَوْرِ، يَغُورُ وَيُنْجَدُ  
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ،  
وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ  
إِمَامًا لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقُّ جَاهِدًا،  
مُعَلِّمٌ صَدَقَ، إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا  
عَفْوٌ عَنِ الزَّلَّاتِ، يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ،  
وَإِنْ يُخْسِنُوا، فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ  
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْدِهِ،  
فَمَنْ عِنْدِهِ تَسْيِيرُ مَا يَتَشَدَّدُ<sup>(٣)</sup>

(١) أكمد: أحزن.

(٢) عدلت: سلوت. الرزية: المصيبة.

(٣) يتشدد: يتصعب.



فَبَيَّنَا هُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ  
دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ  
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحِيدُوا عَنِ الْهُدَى،  
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا  
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ، لَا يُثْقِلُ جَنَاحَهُ  
إِلَى كَنْفٍ يَخْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ<sup>(١)</sup>  
فَبَيَّنَا هُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ، إِذْ غَدَا  
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ<sup>(٢)</sup>  
فَأَصْبَحَ مُحَمَّدًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا،  
يُكَيِّه جَفْنُ الْمُرْسَلَاتِ وَيَحْمَدُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحَشًا بِقَاعِهَا،  
لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْهَدُ<sup>(٤)</sup>  
قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا  
فَقِيدٌ، يُكَيِّه بِلَاطٍ وَغَرْقَدُ<sup>(٥)</sup>

(١) الكنف: الجانب. يمهّد: يوطئ.

(٢) المقصد: المصيب.

(٣) المرسلات: أراد الملائكة المسترة عن عيون الأعميين.

(٤) الحرم: مكة. وحشًا: قفرًا.

(٥) الغرقد: ضرب من شجر الغضاء، واسم مقبرة أهل المدينة لوجود هذا الشجر هناك.

وَمَسْجِدُهُ، فَالْمَوْحِشَاتُ لِفَقْدِهِ،  
خَلَاءَ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ  
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثُمَّ أَوْحِشَتْ  
دِيَارُ، وَعَرَصَاتُ، وَرَبْعُ، وَمَوْلُدُ  
فَبِكِّي رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةٍ  
وَلَا أَعْرِفُكَ الدَّهْرَ دَمْعُكَ يَجْمَدُ  
وَمَا لَكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي  
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ<sup>(١)</sup>  
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدَّمْعِ وَأَعُولِي  
لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ  
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ،  
وَلَا مِثْلَهُ، حَتَّى الْقِيَامَةِ، يُفْقَدُ  
أَعْفَ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ،  
وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا، لَا يُنْكَدُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ،  
إِذَا ضَنَّ مِعْطَاءً، بِمَا كَانَ يُتْلَدُ<sup>(٣)</sup>

(١) يتغمّد: يستر.

(٢) النائل: المعطاء. لا ينكد: لا يكثر.

(٣) الطريف: المال المحدث. التالد: المال القديم: يتلد: يتخذ من مال.

وَأَكْرَمَ حَيًّا فِي الْيُوتِ، إِذَا انْتَمَى،  
وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوِّدُ  
وَأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ، وَأَثْبَتَ فِي الْعُلَى  
دَعَائِمَ عِزِّ شَاهِقَاتِ نُشَيْدُ  
وَأَثْبَتَ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبِتًا  
وَعُودًا غَدَاةَ الْمُرْنِ، فَالْعُودُ أَغِيدُ (١)  
رَبَاهُ وَلِيدًا، فَاسْتَتَمَ تَمَامَهُ  
عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ، رَبُّ مُمَجَّدُ  
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ،  
فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ، وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ  
أَقُولُ، وَلَا يُلْفَى لِقَوْلِي عَائِبُ  
مَنْ النَّاسِ، إِلَّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ  
وَلَيْسَ هَوَائِي نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ،  
لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلَدُ  
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جَوَارَهُ،  
وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

---

(١) أغيد: ناعم متين.

## بأبي وأمي

وقال أيضاً يرثيه، عليه السلام

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا  
كُحِلَتْ مَاقِيهَا بِكُحْلِ الْأَرَمَدِ  
جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ، أَصْبَحَ ثَاوِيًا،  
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعِدِ  
جَنِّي يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي  
عُيِّتَ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ  
بَأبي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ  
فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي  
فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا،  
يَا لَهْفَ نَفْسِي لَيْتَنِي لَمْ أُولَدْ (١)  
أُقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ؟  
يَا لَيْتَنِي صُبَحْتُ سَمَّ الْأَسْوَدِ (٢)

---

(١) متبلداً: متحيراً.

(٢) صبحت: سقيت صباحاً.

أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا  
فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ فِي غَدٍ  
فَتَقُومَ سَاعَتُنَا، فَتَلْقَى طَيْبًا  
مَخْضًا ضَرَائِبُهُ كَرِيمَ الْمُحْتَدِ (١)  
يَا بِكْرَ آمِنَةِ الْمُبَارَكِ ذِكْرُهُ،  
وَلَدَتْكَ مُخَضَّةٌ بِسَعْدِ الْأَسْعَدِ  
نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا،  
مَنْ يُهْدِ لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِ  
يَا رَبِّ! فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنِيْنَا  
فِي جَنَّةٍ تَتَنِي عُيُونَ الْحُسَدِ (٢)  
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَاكْتُبْهَا لَنَا  
يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعَلَا وَالسُّودَدِ  
وَاللَّهِ أَسْمَعُ مَا بَقِيَتْ بِهِالِكَ  
إِلَّا بِكَتَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
يَا وَنَحْ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ،  
بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ  
ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَضْبَحَتْ  
سُودًا وَجُوهُهُمْ كَلَوْنِ الْإِثْمِدِ (٣)

(١) الضرائب، الواحدة ضريبة: الطبيعة والسجية. المحتد: الأصل.

(٢) تتني: ترد وتلدغ.

(٣) الإثمد: الكحل.

وَلَقَدْ وَلَدْنَا، وَفِينَا قَبْرُهُ،  
وَقُضِيَ نِعْمَتُهُ بِنَا لَمْ يُجْحَدِ  
وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ  
أَنْصَارُهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مَشْهَدِ  
صَلَّى إِلَهُ وَمَنْ يَحْفُ بِعَرْشِهِ  
وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ  
فَرِحَتْ نَصَارَى يَشْرِبُ وَيَهُودُهَا  
لَمَّا تَوَارَى فِي الضَّرِيحِ الْمُلْحَدِ

## الشهادة راحة

وقال يرثي حمزة بن عبد المطلب  
حين قدمت بنته أمانة المدينة تسأل عن  
قبر أبيها ومصرعه:

تسائلُ عن قَرْمٍ هِجَانٍ سَمِيدَعٍ ،  
لدى البَّاسِ ، مِغْوَارِ الصَّبَاحِ ، جَسُورِ<sup>(١)</sup>  
أخي ثِقَةٍ يَهْتَزُّ لِلْعُرْفِ وَالنَّدَى ،  
بَعِيدِ الْمَدَى ، فِي النَّائِبَاتِ صَبُورِ  
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّهَادَةَ رَاحَةٌ  
وَرِضْوَانُ رَبِّ ، يَا أُمَامَ ، غُفُورِ  
فَإِنَّ أَبَاكَ الْخَيْرَ حَمْزَةً ، فَاغْلِمِي ،  
وَزِيرُ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرُ وَزِيرِ  
دَعَاهُ إِلَهُ الْخَلْقِ ذُو الْعَرْشِ دَعْوَةً  
إِلَى جَنَّةٍ يَرْضَى بِهَا وَسْوَورِ  
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نَرْجِي وَنَرْتَجِي ،  
لِحَمْزَةِ يَوْمِ الْحَشْرِ ، خَيْرَ مَصِيرِ

---

(١) القرم: السيد المعظم. الكريم الحسب. السמידع: الشجاع.

فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصُّبَا،  
 وَلَا أَبْكِيَنَّ فِي مَحْضَرِي وَمَسِيرِي  
 عَلَى أَسَدِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مِذْرَهَاءَ،  
 يَذُودُ عَنِ الْإِسْلَامِ كُلَّ كُفُورٍ<sup>(١)</sup>  
 أَلَا لَيْتَ شِلْوِي، يَوْمَ ذَاكَ، وَأَعْظَمِي  
 إِلَى أَضْبُعٍ يَنْتَبِنَنِي وَنُسُورٍ  
 أَقُولُ، وَقَدْ أَعْلَى النَّعْيُ بِهِلِكَهْ:  
 جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَخٍ وَنَصِيرٍ

---

(١) الملهه: زعيم القوم.



## أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِئْرِ وَإِخْوَتِهِمْ  
 قَدْ يَبْنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ  
 يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ  
 تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا  
 قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَوْا عَدُوَّهُمْ،  
 أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا  
 سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ،  
 إِنَّ الْخَلَائِقَ، فَاعْلَمْ، شَرُّهَا الْبِدْعُ  
 لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ  
 عِنْدَ الدَّفَاعِ، وَلَا يَوْهُونَ مَا رَقَعُوا<sup>(١)</sup>  
 إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ،  
 فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَذْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ  
 وَلَا يَضُنُّونَ عَنْ مَوْلَى بِفَضْلِهِمْ،  
 وَلَا يُصَيِّهُمُ فِي مَطْمَعٍ طَبَعُ<sup>(٢)</sup>

(١) يريد أنهم أعزة.

(٢) الطبع: الوسخ والدنس.

لَا يَجْهَلُونَ، وَإِنْ حَاوَلْتَ جَهْلَهُمْ،  
 فِي فَضْلِ أَحْلَامِهِمْ عَنْ ذَاكَ مُتَسَّعٌ  
 أَعْفَةٌ ذُكِرَتْ فِي السَّوْخِي عِفَّتُهُمْ،  
 لَا يَظْمَعُونَ، وَلَا يُزْدِيهِمُ الطَّمْعُ  
 كَمِ مِنْ صَدِيقٍ لَهُمْ نَالُوا كَرَامَتَهُ،  
 وَمِنْ عَدُوٍّ عَلَيْهِمْ جَاهِدٍ جَدَعُوا  
 أَعْطَوْا نَبِيَّ الْهُدَى وَالْبِرَّ طَاعَتَهُمْ،  
 فَمَا وَنَى نُصْرَهُمْ عَنْهُ وَمَا نَزَعُوا  
 إِنْ قَالَ سِيرُوا أَجِدُوا السِّرَّ جُهْدَهُمْ،  
 أَوْ قَالَ عَوجُوا عَلَيْنَا سَاعَةً، رَبَّعُوا<sup>(١)</sup>  
 مَا زَالَ سَيْرُهُمْ حَتَّى اسْتَقَادَ لَهُمْ  
 أَهْلُ الصَّلِيبِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ الْبَيْعُ  
 خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوَاً، إِذَا غَضِبُوا،  
 وَلَا يَكُنْ هُمْكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا  
 فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ، فَاتَرُكْ عِدَاوَتَهُمْ،  
 شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ الصَّابُ وَالسَّلْعُ<sup>(٢)</sup>  
 نَسْمُوا إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا مَخَالِبَهَا،  
 إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا

(١) رَبَّعُوا: أَقَامُوا.

(٢) الصَّابُ وَالسَّلْعُ: شَجَرٌ مَر.

لَا فَخْرَ إِنْ هُمْ أَصَابُوا مِنْ عَذَابِهِمْ ،  
 وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورَ وَلَا جُزُعَ  
 كَانَتْهُمْ فِي الْوَعْيِ ، وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ ،  
 أَسَدٌ بَيْشَةٌ فِي أَرْسَائِهَا فَدَعُ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا نَصَبْنَا لِقَوْمٍ لَا نَدِبُ لَهُمْ ،  
 كَمَا يَدِبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ<sup>(٢)</sup>  
 أَكْرِمَ بِقَوْمٍ رَسُولَ اللَّهِ شَيْعَتُهُمْ ،  
 إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ  
 أَهْدَى لَهُمْ مِدْحِي قَوْمٌ يُؤَاوِرُهُ  
 فِيمَا يُحِبُّ لِسَانَ حَائِكَ صَنَعُ  
 فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ ،  
 إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جَدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا<sup>(٣)</sup>

---

(١) المكتنع: الداني القريب. بيشة: مأسدة. الفدع: زوال الرسغ في اليد إلى وحشيها.

(٢) الذرع: ولد البقرة الوحشية.

(٣) شمعوا: مزحوا.

## إذا غاب كوكب لاح شهاب

وقال يفتخر بنسبه

أَلَمْ تَرْنَا أَوْلَادَ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ،  
لَنَا شَرَفٌ يَغْلُو عَلَى كُلِّ مُرْتَقِي<sup>(١)</sup>  
رَسَا فِي قَرَارِ الْأَرْضِ ثُمَّ سَمَتْ لَهُ  
فُرُوعٌ تُسَامِي كُلَّ نَجْمٍ مُخَلَّقٍ  
مُلُوكٌ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ، كَأَنَّنَا  
سَوَارِي نُجُومٍ طَالِعَاتٍ بِمَشْرِقِ  
إِذَا غَابَ مِنْهَا كَوْكَبٌ لَاحَ بَعْدَهُ  
شِهَابٌ مَتَى مَا يَبْدُ لِلْأَرْضِ تَشْرِيقِ  
لِكُلِّ نَجِيبٍ مُنْجِبٍ زَخَرَتْ بِهِ  
مُهَذَّبَةٌ أَعْرَاقُهَا لَمْ تُرْهَقِ<sup>(٢)</sup>

---

(١) عمرو بن عامر: هو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء.

(٢) زخرت به: هو من قولهم: فلان زاخرا أي كريم ملآن من الشرف. مهذبة أعراقها: أي النقية الخالصة من العيوب. أعراقها: أصولها. لم ترهق: لم تدنس.

كَجَفَنَةِ وَالْقَمَقَامِ عَمْرُو بْنِ عَامِرٍ،  
 وَأَوْلَادِ مَاءِ الْمُزْنِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ<sup>(١)</sup>  
 وَحَارِثَةَ الْغَطْرِيفِ، أَوْ كَابِنِ مُنْذِرٍ،  
 وَمِثْلِ أَبِي قَابُوسَ رَبِّ الْخَوْرُنْقِ<sup>(٢)</sup>  
 أَوْلُكَ لَا الْأَوْغَادُ فِي كُلِّ مَاقِطٍ،  
 يَرُدُّونَ شَأَوَ الْعَارِضِ الْمَتَالْقِ<sup>(٣)</sup>  
 بِطَعْنِ كَالِيزَاغِ الْمَخَاضِ رَشَاشُهُ،  
 وَضَرْبِ يُزِيلُ الْهَامَ مِنْ كُلِّ مَفْرِقٍ<sup>(٤)</sup>  
 أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ، لَمَّا تَجَهَّمَتْ  
 لَهُ الْأَرْضُ، يَرْمِيهِ بِهَا كُلُّ مُوَفِّقٍ<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) جفنة: هو ابن عمرو أول ملوك الغسانيين. القمقام: السيد الكثير الخير  
 الواسع الفضل. وأراد بأولاد ماء المزن: أولاد ماء السماء، وهو لقب  
 عمرو مزريقاء لأنه كان يمون قومه في الجذب. محرق: لقب الجارث بن  
 عمرو من آل جفنة لقب به لأنه أول من أحرق العرب في ديارهم.  
 (٢) حارثة الغطريف: أبو عامر أبي عمرو مزريقاء. ابن منذر: عمرو بن  
 هند من المناذرة ملوك الحيرة. أبو قابوس: النعمان بن المنذر.  
 الخورنق: قصره.  
 (٣) المأقط: المعترك. العارض: أراد الجيش الضخم. المتألق: الذي يبرق  
 ما عليه من الحديد.  
 (٤) الإيزاغ: قذف الناقة ببولها.  
 (٥) تجهمت: تنكرت. الموفق، من أوفق السهم: وضع الفوق في الوتر  
 ليرمي.

تَطَرَّدُهُ أَفْنَاءُ قَيْسٍ وَخِنْدِفٍ،  
كَتَابُ إِنْ لَا تَغْدُ لِلرَّوْعِ تَطْرُقُ<sup>(١)</sup>  
فَكُنَّا لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَعْقِلًا  
أَشْمٌ، مَنِعًا ذَا شَمَارِيخَ شُهَقٍ<sup>(٢)</sup>  
مُكَلَّلَةٌ بِالمَشْرِفِي وَبِالقَنَا،  
بِهَا كُلُّ أَظْمَى ذِي غَرَارِينَ، أَزْرَقٍ<sup>(٣)</sup>  
تَذُودُ بِهَا عَنْ أَرْضِهَا خَزْرَجِيَّةٌ،  
كَأَسَدِ كَرَاءٍ، أَوْ كَجِنَّةِ نَمْتَقٍ<sup>(٤)</sup>  
تَوَازَرُهَا أَوْسِيَّةٌ مَالِكِيَّةٌ،  
رِقَاقُ السِّيُوفِ، كَالْعَقَاتِقِ، ذُلُقٍ<sup>(٥)</sup>  
نَفَى الدِّمَّ عَنَّا كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ،  
طِعَانٌ كَتَضْرِيمِ الأَبَاءِ المُحَرَّقِ<sup>(٦)</sup>

(١) الأفناء: أراد الأخلاط. تطرق: من الطرق بالحصى، وهو ضرب من التكهن.

(٢) الضمير في كنا يعود إلى الأنصار. المعقل: الملجأ. الشماريخ، الواحد شمراخ: رأس الجبل. الشهق: العالية.

(٣) الأظمى: الأسمر، وأراد الرمح. ذو غرارين: ذو حدين.

(٤) كراء ونمتق: موضعان.

(٥) العقاتق: الواحدة عقيقة، وعقيقة البرق: بريقه. الذلق: الماضية، السريعة السلة.

(٦) الأباء: القصب.

وَإِكْرَامُنَا أَضْيَاقَنَا، وَوَفَاؤُنَا  
بِمَا كَانَ مِنْ إِلٍ عَلَيْنَا وَمَوْثِقِ<sup>(١)</sup>  
فَنَحْنُ وُلَاةُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ،  
مَتَى مَا نَقُلُّ فِي النَّاسِ قَوْلًا نَصَدِّقُ  
تُوفِّقُ فِي أَحْكَامِنَا حُكْمَاؤُنَا،  
إِذَا غَيْرُهُمْ، فِي مِثْلِهَا، لَمْ يَوْفَّقِ

---

(١) الإل: العهد.

## ثبت المصادر والمراجع المعتمدة

### في إعداد البحث

الشعر والشعراء	ابن قتيبة
العمدة في صناعة الشعر ونقده	ابن رشيّق القيرواني
طبقات الشعراء	ابن سلام الجمحي
السيرة النبوية	ابن هشام
الأغاني	أبو الفرج الأصبهاني
الكامل في اللغة والأدب	المبرد
العقد الفريد	ابن عبد ربه
الاستيعاب	ابن عبد البر
الجمهرة	أبو زيد القرشي
أبجد العلوم	القنوجي
ديوانه	حسن بن ثابت
الشعر العربي في القرن الأول	محمد مصطفى هداره
الهجري	
حسان بن ثابت	محمد طاهر درويش



## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة .....	٣
العصر الجاهلي .....	٥
فنون الشعر الجاهلي .....	٦
اثر الاسلام في الشعر وموقفه منه .....	٩
القرآن والشعر .....	١٠
الرسول ﷺ والشعر .....	١٤
الرسول ﷺ وقول الشعر .....	١٧
حسان سيرته وحياته .....	١٩
حسان والإسلام .....	٢٦
وفاته .....	٣٨
أخلاقه وصفاته .....	٣٨
أغراضه الشعرية .....	٤٢
أ- الفخر .....	٤٢
ب- المدح .....	٥٢

٥٨	ج - الهجاء
٦٧	د - الوصف
٧٧	هـ - شعره الاسلامي
٩٤	و - الحكمة والمثل
٩٨	الخصائص العامة لشعره
٩٨	أ - أغراضه ومناهجه
١٠٠	ب - معانيه
١٠٥	ج - لغته
١١١	د - بحوره وأوزانه
١١٣	هـ - أثر الحضارة في شعره
١١٦	و - أثر القرآن في شعره
١١٩	ز - منزلته
١٢٤	نماذج في شعره
١٤١	ثبت المصادر والمراجع



لا شك أن القارئ العربي بحاجة ماسة إلى الاطلاع على تراثه الفكري العظيم المتمثل بالأدب والتاريخ والفلسفة والفقه وعلم الكلام وغير ذلك من ميادين الثقافة والمعرفة.

وبما أن تحصيل هذه المعرفة الموسوعية المتكاملة لا يكاد يتاح إلا لأفراد قلائل من ذوي العقول المتميزة والبصائر المتوقدة، كان لا بد لنا من تقديم هذا التراث بشكل مختصر وجامع في الوقت نفسه، بحيث يوافق هذا الإطار المقترح أكثرية القراء العرب، وخاصة طلاب المراحل الثانوية والجامعية. فكانت هذه السلسلة عن أعلام الأدب من نثر وشعر، تولى كتابتها مجموعة من الاختصاصيين الذين تحروا فيها السلاسة في الأسلوب والعمق في التحليل والاختصار في المعلومات، بما يحقق الهدف المنشود من إصدارها.

كما نشير إلى أننا - بالإضافة إلى هذه السلسلة التي بين يديك عن أعلام الأدباء والشعراء - أصدرنا، وسنصدر تبعاً إن شاء الله مجموعات أخرى عن أعلام الفكر العربي والغربي في مختلف الميادين المعرفية، بنفس الأسلوب والمنهج اللذين اتبعناهما في إصدار هذه السلسلة. والله من وراء القصد.